



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور خنشلة.



كلية: الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي
شعبة: اللغة والأدب العربي
التخصص: أدب مقارنة

صورة الشرق في أدب الرحلة

رحلة الأمير رودولف -أُنموذجا-

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مواد شهادة ماستر 2

إشراف الأستاذ:

عمرو غيلان

من إعداد الطالبة:

حكار وردة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
يوسف الأطرش	أستاذ التعليم العالي	جامعة عباس لغرور خنشلة	رئيسا
عمرو غيلان	أستاذ التعليم العالي	جامعة عباس لغرور خنشلة	مشرفا ومقررا
إلهام شادر	أستاذ مساعد —أ—	جامعة عباس لغرور خنشلة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2017***2018

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَالْهَيْكَلُ فِي الْأَسْفَارِ قَوْلٌ وَمَحَنٌ
فَسُورَةُ الْقَمَرِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ
وَقَطْعُ الْغِيَاثِ وَارْتِكَاسُ السُّرَّائِرِ
بِدَارِ عَوَالِمٍ بَيْنَ رَأْسِي وَحَامِدٍ



الهدايا

الحمد لله الذي أنعم علينا بأفراح هذا العمل... وكلل انجازنا بالعروة... فله كل الشكر

أولاد وأخرا

إلى الغالية... العزيزة... بسمة الحياة... أملي وسندي في الدنيا...

أمي الحبيبة... حفظها الله

إلى سندي ومعيني وحامي... من لم يخلع عليا طيلة حياتي... وأهداني الغالي والنفيس

أبي الغالي... حفظه الله

إلى إخوتي وأخواتي... صامهم الله

إلى أختي صديقا إلى الأمام وحفاة قلب

إلى جميع الأساتذة... جمال... طلبة معهد اللادب العربي... بالانحصار وفعة 2018

أهدي عمة هذا العمل

وردة

شكر وعرفاء

أثقى بمنزلة الشكر وفائده التقدير والاحترام وحسن العرفاء للاستاذ المشرف

”عمر وعبد الله“

إفكاره في عظم الشرف أيا تكو رسالة تخرجني على يده

كما أثقى بالشكر إلى كل أستاذة المعهد وبالأخص الاستاذ عزوز نواصري وإلى كل

من ساعدني

من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل



مُغْنَمَةٌ



تعد **Imagologie** فرعاً من فروع الدراسات المقارنة ومن أهم المباحث التي تمكنا من دراسة الآخر ومعرفة تركيبته الثقافية والمعرفية.

وقد كان للرحلات دوراً كبيراً في ازدهار علم الصوراتية، فهي نتاج لحب التنقل واكتشاف الآخر، وخلق حوار يمكن من التبادل الثقافي بين مختلف شعوب العالم كما نقلت كتابات الرحالين ورسمت ملامح حضارة العصر الذي عاشوا فيه، والشرق من أهم المحطات التي لفتت الأنظار وجعلت كبار الكتاب يخلدون اسمه في أشهر أعمالهم.

ومن هنا كان اهتمامي بدراسة صورة الشرق في أدب الرحلة "رحلة الأمير رودولف إلى الشرق" كنموذج اعتمدته في بحثي هذا، ومن الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع هو الرغبة في التعرف على هذا النوع من الدراسات المقارنة الذي يكتسي أهمية كبرى في الوقت الراهن، والبحث في مفاهيم جديدة، وهذا ما جعلني أسعى للإجابة عن الإشكال الآتي:

ما المقصود بالصوراتية؟ كيف تجسدت صورة الشرق عند بعض الرحالة الغربيين من بينهم الأمير رودولف؟ وكيف عكست رحلة الأمير رودولف صورة الشرق؟ وهل صدقت الصورة؟.

وللإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدت على خطة تضمنت مقدمة ومدخلا وخاتمة وكانت كالآتي:

مقدمة: بينت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره وأهم المراجع التي اعتمدت عليها في بحثي هذا.

مدخل: حمل عنوان الصوراتية تحدثت فيه عن مفهوم الصوراتية، نشأتها، أنواعها والهدف من دراستها.

أما في الفصل الأول: جاء تحت عنوان أدب الرحلة وتطرق فيه إلى ضبط مفهوم الرحلة اصطلاحاً، نشأة أدب الرحلة، قيمتها ودوافعها.

أما الفصل الثاني: هو فصل تطبيقي تناولت فيه دراسة رحلة الأمير رودولف إلى الشرق وبالتحديد رحلته إلى مصر، مع العلم أنني تناولت الجزء الأول فقط وذلك لعدم حصولي على الجزء الثاني والثالث للرحلة.

وخاتمة: كانت عبارة عن محصلة لأهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث، معتمدة في هذه الدراسة على المنهج الوصفي لقدرته على رصد صورة الآخر.

واستفادت الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع تمثلت في:

ماجدة حمود: مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، عبد المجيد حنون: صورة الأدب الفرنسي في الرواية المغربية، فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، حسين محمد حسن: أدب الرحلة عند العرب، وغيرها من المصادر والمراجع.

وبطبيعة الحال وكأي باحث واجهتني مجموعة من الصعوبات وتتمثل في نقص المراجع فيما يخص الصورانية لأنها مبحث جديد، وعدم الحصول على الجزأين الثاني والثالث لرحلة الأمير رودولف إلى الشرق.

وفي الأخير لا أدعي أنني بلغت كل ما سعيت إليه في هذا البحث فقد كانت محاولة مني في فهم موضوع من مواضيع الأدب المقارن "الصورانية".

وأقدم بالشكر إلى كل من ساعدني لانجاز هذا البحث وبالأخص الأستاذ المشرف "عمرو عيلان" ولا يفوتني أن اشكر أساتذة قسم الأدب العربي بجامعة عباس لغرور.

مراحل

1. مفهوم الصورة
2. نشأة الصورتية
3. أنواع الصورة
4. أهم الدراسات التي تناولت الآخر
5. تلقي صورة الآخر *آلياتها.
*أهدافها
6. صورة الشرق لدى أدباء الغرب
7. الصورة و أدب الرحلة

تعد الصورتية من أحدث ميادين البحث في الأدب المقارن ومن أهمها، إذ تعرف مكانة كل أمة لدى غيرها من الأمم.

وقد حملت لفظة الصورة في طياتها العديد من المعاني والدلالات، مما جعلها موضع اهتمام الكثير من الباحثين والدارسين وبعض المهتمين بالأدب المقارن.

لتحديد مفهوم الصورتية أو الصورولوجيا، يجب علينا العودة إلى العديد من الكتب والمعاجم العربية بهدف حصر أصول المعاني الواردة.

1. مفهوم الصورة:

1.1. الصورة الفنية:

حفل الأدباء المحدثون بالصورة احتفاء كبيرا واهتموا بطريقة تشكيلها وبناءها وبطبيعة العلاقات القائمة بين عناصرها المختلفة حتى غدت ملمحا بارزا في نصوصهم، وقد انحصر مفهوم الصورة بين جانبين فني وجانب ثقافي، حيث ارتبط الجانب الفني بالبيان والبديع والمجاز.

يقول مصطفى ناصف في هذا الصدد "أن الصورة تطلق عادة للدلالة على كل ماله صلة بالتعبير الحسي وتطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات"¹.

أي أنه أطلق مصطلح الاستعارة للدلالة على ما تدل عليه كلمة صورة.

ويرى إبراهيم عبد القادر المازني أن الصورة : "هي غير فن التصوير والرسم، فهي غنية بالحركة والحيوية، وتعاقب الزمن وقتا بعد وقت، حتى يأتي الشاعر على الحركة المقصودة من الصورة"².

¹ مصطفى ناصف: الصورة الأدبية، دار الأندلس، بيروت، ط3، 1984، ص3.

² علي علي صبح: الصورة الأدبية، تاريخ ونقد، دار العودة، لبنان، ط1، د ت، ص115.

بمعنى أن الشاعر ينقل للقارئ المنظر المراد تصويره من خلال مشاعره ليترك صورة تثير الإحساس في هذا القارئ

أما **الزيات حسن** لا يفصل الصورة عن الفكرة وينكر أشد الإنكار هؤلاء الذين يمثلون الصورة بالكساء "فهي رداء ذاتي مستقل له خصائصه وأوصافه، ولكنه يرى تبعاً لابن رشيق وغيره، أن العلاقة بينهما كالعلاقة بين الجسد والروح لا يمكن أن يستقل أحدهما عن الآخر"¹.

وهذا يعني أن الصورة والفكرة كوجهي العملة الواحدة، فإذا تغيرت الصورة تغيرت الفكرة والعكس، فهما جزء لا يتجزأ.

أما **نادر كاظم** فيعرف الصورة على أنها "تمثيل للواقع يميز بين الحقيقة وتمثيل الحقيقة بين ما هو جوهري في المعرفة، وما هو مجرد تمثيل لا أكثر، تمثيل يزدحم فيه الخيال بالحقيقة، ليجسد وعي الذات بالآخر أكثر مما يجسد هذا الآخر"².

وهذا يدل على أن الصورة في نظر **نادر كاظم** لا تصور الآخر بقدر ما تصور الأنا، فهو يمزج بين الخيال والحقيقة ليصل إلى صورة الآخر طبقاً لمقولة "معرفة الأنا من معرفة الآخر" والعكس صحيح.

مما سبق نفهم أن الصورة تتجاوز الفكرة، وهي تغطية ومسح شامل تستوفي مختلف أشكال الحياة ومشاهد الواقع.

¹ المرجع السابق، ص 59.

² نادر كاظم: تمثيلات الآخر، دراسات فكر، البحرين، د ط، 2004، ص 45.

2.1. الصورة الثقافية:

أما مصطلح الصورة بوصفها مبحثاً جديداً في الأدب المقارن، فيطلق عليه الصورتية أو الصورولوجيا **Imagologie**، والمقصود منه "العلم الذي يهتم بمعرفة الصورة الذهنية التي يشكلها شخص عن نفسه وعن الآخرين"¹.

ومن هنا نقول أن الصورة هي علم أساسه يتبع الفكرة التي تشكل وتتطبع في الذهن أو في مخيلتنا عن النفس أو عن الآخر.

يرى غنيمي هلال أن الصورة: "ترسم من كل ذلك أجزاء الصورة الأدبية للبلاد والشعوب الأجنبية، وقد تكون هذه الصورة مستوفية الأجزاء، فيما إذا تحدث الكاتب عن المظاهر المختلفة للبلد الآخر"².

ويعرفها أحمد جابر عصفور: "هي طريقة خاصة من طرق التعبير، ووجه من أوجه الدلالة تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معني من المعاني خصوصية وتأثيراً، ولكن إذا كانت الخصوصية أو ذلك التأثير، فإن الصورة لا تغير من طبيعة المعنى في ذاته، وإنها لا تغير إلا من طريقة عرضه وكيفية تقديمه"³.

ونفهم من هذا التعريف أن الصورة فن للتعبير، وتكمن أهميتها فيما تبرزه من معنى وما تتركه من أثر وتأثير.

¹ دانييل هنري باجو: الأدب العام والمقارن، تر: غسان السيد، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 1997، ص 90.

² محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، د ط، 1983، ص 421.

³ أحمد جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي، المركز الثقافي، بيروت، ط3، 1992، ص 393.

يفسر سعيد بن سعيد العلوي الصورة بقوله: "... والفاحص متى نظر في الصورة التي ترسمها الذات للآخر، فإنه يتبين له تلك الصورة مزيج غريب وغير متجانس من العواطف والأحكام"¹.

ومنه الصورة التي ترسمها الذات عن الآخر، تختلف حسب موقع النظر إليها، فقد يكون مجرد انطباع مبتور يتشكل في متخيل الأنا عن الآخر.

تعرف ماجدة حمود الصورة على أنها: "تعبير أدبي يسير إلى التباعد ذي دلالة بين نظامين ثقافيين ينتميان إلى مكانين مختلفين، وبذلك تكون الصورة جزءاً من الخيال الاجتماعي، والفضاء الثقافي والإيديولوجي الذي تقع ضمنه"².

يتبين لنا من خلال هذا التعريف أن الصورة تبحث في التفاوت والاختلاف بين ثقافتين من بيئتين مختلفتين.

أما مفهوم الصورة عند عبد المجيد حنون تعني "تمثيلاً معقولاً أو أميناً".

فهنا يشترط حنون الأمانة أو المعقولية في تمثيل الآخر ويذهب على أنها: "تمثيل يعتمد على معلومات شبه ثابتة ذات طابع عام ومعقول، ولها شيء من الواقع الملموس" كما هي "تصور فردي أو جماعي تدخل فيه عوامل ثقافية وشعورية، موضوعية وذاتية"³.

¹ سعيد بن سعيد العلوي: أوروبا في مرآة الرحلة، صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، رؤية للنشر، القاهرة، ط1، 2012، ص 15.

² ماجدة حمود: صورة أدبية في الحضارة الإسلامية، دار المعارف، دمشق، د ط، د ت، ص 11.

³ عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1986، ص

وهنا يتبين أن الصورة هي رؤية معقولة لشعب عن شعب آخر تعتمد على عوامل عقلية وأخرى مادية، موضوعية وذاتية، فهي لا تطابق الواقع الحقيقي، وليست مختلفة عنه.

ويتحدد مفهوم حقل الصورة في الأدب المقارن في: "جملة الدراسات المقارنة التي تعنى بتصوير تمظهر الآخر في أدب الأنا، أو تمظهر الأنا في أدب الآخر، مثلما تمثله الذهنيات القومية في صلاتها مع غيرها، ومحاولتها أن تكون لنفسها صورة الآخر تعكس نظرة أو رؤية وبالتالي موقفاً منه"¹.

فالبحث في حقل الصورتية يرصد تجلي الأجنبي في أدب الذات أو العكس، ويتحدد ذلك بناء على مرجعية معينة، أو تصور سابق ذي طبيعة تاريخية أو ثقافية أو اجتماعية.

من خلال ما سبق يتضح لنا أن مصطلح الصورة، هو مبحث جديد يطلق عليه علم الصورة أو الصورتية أو الصورولوجيا.

وهي فن للتعبير وتمثيل لواقع ثقافي أجنبي يكشف عبره الأنا عن الفضاء الثقافي الذي يتموضع داخله، في الوقت الذي تحاول فيه الكشف عن ثقافة الآخر.

2. نشأة الصورتية:

تعد الصورتية من أحدث وأهم ميادين البحث في الأدب المقارن، مقارنة بالمباحث الأخرى.

يقول غنيمي هلال في هذا الصدد: "الصورتية هي علم ومن أحدث ميادين الأدب المقارن، لا ترجع أقدم البحوث فيه إلى أكثر من نحو* ثلاثين عاماً، ولكن مع حداثة

¹ صغور أحلام: واقع الدراسات المقارنة في المغرب العربي، أطروحة دكتورا، جامعة وهران، 2009، ص 177.

نشأته غني بالبحوث التي تبشر بأنه سيكون من أوسع ميادين الأدب المقارن وأكثرها رواجاً في المستقبل¹.

وتعود الإرهاصات الأولى لهذا النوع من الدراسات إلى النصف الأول من القرن 19، ويرجع الفضل في هذا المجال إلى الأديبة الفرنسية مدام دوستال **madame de stael**، عندما قامت بزيارة طويلة لألمانيا، وذلك في وقت تصاعد فيه العداء وسوء الفهم بين الشعبين الفرنسي والألماني، وأثناء الإقامة فوجئت الأديبة بمدى سوء الفهم والجهل الذي يعاني منه الفرنسيون لألمانيا رغم الجوار الجغرافي، فقد تحقق لها أن الفرنسيون يجهلون أبسط الأمور المتعلقة بالمجتمع والثقافة والأدب والطبيعة في ألمانيا فرسموا في أذهانهم صورة لشعب فظ غير متحضر.

لكن مدام دوستال **DE STAEL** اكتشفت عبر رحلتها أن الشعب الألماني يتمتع بمناقب جمة، أي عكس الصورة التي رسمها الشعب الفرنسي وهنا سعت الأديبة دوستال إلى تصحيح ما في أذهان الفرنسيين في كتاب بسيط هو: "ألمانيا **de l'allmagne**". فكان الكتاب طليعة وبداية لما أصبح يعرف بالصورولوجيا².

ويشير **دانييل هنري باجو daniel henri pageaux** في كتابه الأدب العام والمقارن "أن الصورة أو دراسة الصورة بدأت مع جان ماري كاريه **jean mari carre** ثم أخذها ماريو فرانسوا غويار **m francois guyard** ودافع عنها في "الأجنبي مثلما نراه **l'etranger tel qu on le voit**" وبعدها جاء رينيه ويليك **wellek** وقدم معارضة لهذه الدراسات، وبعده ندد روني إيتامبل **ronney etiemble** في كتابه "المقارنة ليست صواباً **comparaison n est pas raison**" ندد بالأعمال التي تهم

¹ محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص 419 .

*في مقاربة تاريخية أبدى محمد غنيمي هلال رأيه سنة 1983 والآن 2018 أي (65 سنة).

² ينظر: مصطفى، دراسة الصورة الأدبية (الصورولوجيا)، ستار تايمز، 2012/11/02، 17:18.

المؤرخ وعالم الاجتماع أو رجل الدولة. ذلك ما جعل الدراسات اللاحقة تعود بالصورة ودراستها إلى حقل الأدب¹.

نستخلص من هذه النظرة أن نشأة هذا اللون من الدراسات المقارنة، أنه حديث جدا مقارنة مع ألوان أخرى، ولقد خاض فيه العديد من الكتاب والأدباء المحدثين الغربيين وغيرهم، ولقد اتفق أغلبهم أن الصورتية علم ناشئ وسيكون له من الشأن العظيم بين الدراسات المقارنة.

3. أنواع الصورة:

تختلف صورة شعب من الشعوب عن نفسه أي في أدبه (صورة الأنا)، عن صورة الشعب نفسه في أدب شعوب أخرى (صورة الآخر).

ومراد ذلك الاختلاف والتباين يرجع أساسا إلى أن صورة الأنا تستند إلى غنى تجربة الأديب في المجتمع.

1.3. صورة شعب في أدبه:

ويعني إبراز الصلة التي تربط بين الأدب والشعب، حتى يرى هذا الأخير صورة نفسه، فيكتشف ما به من عيوب، ويسعى إلى تصحيحها (أي صورة الأنا للأنا)².

مثل : * صورة المرأة المصرية في روايات نجيب محفوظ.

* صورة المرأة الألمانية لدى الأديب الألماني.

* صورة الفرنسيين في أدبهم.

ونجد هذا النوع من الدراسات لا يتعدى إطاره القومي واللغوي.

¹ دانييل هنري باجو: الأدب العام والمقارن، ص 90.

² ينظر عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ص 61.

يقول جابر عصفور "تنطوي هذه الصور على بعد معرفي مؤثر، يضيف إلى وعي الجماعة بذاتها، بل يسهم في تشكيل هذا النوع، فيصبح التعرف المصاحب لتأمل صور المرأة مقدمة للفعل الخلاق، وباعثاً على التغيير نحو الأفضل"¹.

فالغاية من دراسة أدب شعب للشعب ذاته هي التعرف على أدبهم واكتشاف ما بهم من عيوب والسعي لتصحيحها، وهنا تتجلى الوظيفة الحيوية للصورة وهي رؤية الشعب صورة نفسه.

¹ جابر عصفور: المرايا المتجاورة، دراسة في نقد طه حسين، دار قباء، مصر، د ط، 1998، ص 90.

2.3. صورة شعب في أدب شعب آخر:

ويقصد ذلك اهتمام شعب بآخر أمر ضروري، يجعل الشعب المهتم يلتقط معلومات عن الشعب المهتم به، وذلك لإبراز صورة ذلك الشعب، وتكوين صورة الآخر (أي صورة يرسمها شعب عن شعب آخر).

مثل : * صورة الجزائر في الأدب الفرنسي.

* صورة فرنسا في إيطاليا.

* صورة الشرق في أدب فيكتور هوغو.

3.3. صورة شعب في شكل أدبي معين لدى شعب آخر:

وذلك بتأثير شعب في آخر، وتركيز أدباء الشعب المتأثر على تصوير الشعب المؤثر في فن أدبي معين.

مثل : * صورة الجزائر في أدب الرحلة الفرنسي.

* صورة الزنجي في المسرح الأمريكي.

* صورة بريطانيا في الرواية الفرنسية.

إن تقسيم الصور إلى أنواع لا يعني بالضرورة اختلافها فهي كلها تعتمد أساسا على ظاهرة "التأثر والتأثير" المتبادلة بين شعبيين مختلفين.

وهنا يضيف حنون أنه من الممكن تقسيم صور الشعوب لدى بعضها البعض حسب اتجاه عملية "التأثير والتأثر"¹.

ويبين حنون أن لعملية التأثير والتأثر ثلاثة اتجاهات:

¹ المرجع السابق: ص 70.

أ.الاتجاه الأفقي:

حيث تكون عملية التأثير والتأثير متبادلة بين شعبين في مستوى حضاري واحد. أي يكون الشعب الناظر والمنظور إليه في مستوى واحد.

مثل : * صورة الإنجليز في الأدب الفرنسي .

* ألمانيا والألمان من خلال الأدب الفرنسي، **Lallemage Et Les**

Allemands A Travers La Littérature Francaise.

ب.الاتجاه الرأسي:

حيث يكون الشعب الناظر في مستوى حضاري متفوق، ويكون المنظور إليه متخلف¹.

مثل : * صورة الجزائر في الأدب الفرنسي.

* صورة مصر في الرواية الفرنسية والإنجليزية.

ج.الاتجاه العكسي:

حيث يكون الشعب الناظر شعبا متخلفا، ويكون المنظور إليه شعبا متفوقا².

مثل : * صورة الفرنسي في الأدب الجزائري.

* صورة الفرنسي في الرواية المغربية.

¹ المرجع السابق: ص 71.

² المرجع نفسه: ص 71.

من خلال هذا نستخلص أن الصورة تنقسم إلى أنواع حسب التأثير الذي تتركه في الآخر، وحنون يقسم عملية التأثير والتأثير إلى ثلاثة اتجاهات. أفقي والذي تكون فيه كل من الشعبين على درجة ومستوى حضاري واحد بالإضافة إلى الاتجاه الرأسي والعكسي.

4. أهم الدراسات التي تناولت الآخر:

*رو: قدم سنة 1923 رسالة بعنوان " إنجلتراوتين"¹.

*جورج إسكولي: قدم رسالة سنة 1930 بعنوان "بريطانيا العظمى أمام الرأي الفرنسي في القرن السابع عشر".

*يترس: قدم سنة 1931 دراسة عنوانها "إسبانيا والإسبانيون في أعمال بلزاك".

*جان ماري كاري: قدم رسالة سنة 1947 عنوانها "الكتاب الفرنسيون والسراب الألماني".

*البير لورتولاي: قدم رسالة سنة 1951 عنوانها "السراب الروسي في فرنسا في القرن السابع عشر".

*ماريو فرانسوا غويار: قدم رسالة سنة 1955 بعنوان "صورة بريطانيا العظمى في الرواية الفرنسية".

*فرانسوا جوست: قدم رسالة سنة 1956 بعنوان "سويسرا في الآداب الفرنسية عبر العصور"².

¹ دراقي زبير: محاضرات في الأدب المقارن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، د ت، ص 42.

² عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ص 64.

*بيار روبول: قدم رسالة سنة 1962 عنوانها "أسطورة الإنجليزي في الأدب الفرنسي في عهد الاستعراش"¹.

*ميشال كادوجا: قدم رسالة بعنوان "صورة روسيا في الحياة الثقافية الفرنسية".

ومن أشهر الرسائل التي أحيزت منذ بداية الستينيات:

-رسالة ليون فانودج سفير: عنوانها "أسطورة الزنجي وإفريقيا السوداء في الأدب الفرنسي".

-رسالة سيلفان ماراندون: بعنوان "صورة الفرنسي في إنجلترا الفيكتورية من 1878 إلى 1900".

-رسالة شارلوط وردى: "اليهودي في الرواية الفرنسية".

-رسالة لهجومري عبد الجليل: "صورة المغرب الأقصى في الأدب الفرنسي".

-رسالة أليس شرارا: عنوانها "صورة الاستعمار الإسباني في الرواية الأمريكية من 1898 إلى 1950"².

5.تلقى صورة الآخر (آلياتها وأهدافها):

أسهمت عدة عوامل وأسباب في تجلي صورة الآخر وتبنيها في الذهن سواء سلبا أو إيجابا إلى أن تترسخ وتصبح انطبعا جماعيا عن الآخر، ونجد من أهم الأسباب والوسائل التي ساعدت على تلقي صورة الآخر لدى الأنا.

الرحلات: التي كان لها إسهام كبير في إبراز وتلقي صورة الآخر، فالرحلات التي قام بها الغرب إلى بلاد الشرق أسهمت في إظهار صورة الشرق لديهم.

¹ دراقي زبير: محاضرات في الأدب المقارن، ص 42.

² عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ص 65.

الاستشراق: ظهر في القرن الثامن عشر، والذي يعد وسيلة من وسائل تلقي صورة الآخر.

ترجمة النص الأدبي: حيث كان للترجمة دور كبير في نقل تراث الحضارات والثقافات لمختلف الشعوب، فهي تقوم بدور طيب في التعريف بآثار الأمم الأخرى والأعمال الأدبية الكبرى.

كما يتم تلقيها عبر مقالات نقدية، ودراسات أدبية كتبت للدوريات والصحافة تتناول الآداب الأجنبية وكذلك يتم تلقيها عبر الإخراج السينمائي والمعارض الفنية، وعبر الإبداع الأدبي الذي يجسد الآخر بواسطة الخيال مع الأخذ بعين الاعتبار الشروط الاجتماعية والثقافية التي يجري ضمنها التلقي¹.

وتعود دراسة الصورة بجملة من الفوائد، وتنقسم هذه الفوائد إلى مستوى فردي ومستوى جماعي.

*على المستوى الفردي: ويتعلق بما يفيد توسيع أفق الكتابة والتفكير، وإغناء للشخصية الفردية والتعرف الذاتي.

*على المستوى الجماعي: تفيد الصورة في هذا المستوى، بتصريف الانفعالات المكتوبة اتجاه الآخر أو في التعويض وتسوية أوهام المجتمع الكامنة في أعماقه.

أي أن الأدب في هذا يعكس في تعبير الفرد عن رغبات أفراد الجماعة.

وكذلك تبين الصورة المغلوطة المكونة عن الشعوب، فتسهم في إزالة سوء التفاهم، وتؤسس لعلاقات معافاة من الأوهام، وتعطي الآخر حقه كما تعطي الذات².

¹ ينظر ماجدة حمود: مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، ص 114.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 114.

سمحت الصورة بفتح المجال أمام الآخر وقبوله والتعايش معه، وأصبحت ممارسة إنسانية للتعبير عن الهوية والغيرية في نفس الوقت¹.

وبذلك فهي تشكل وسيط بين الثقافات المختلفة التي جعلت التأثير والتأثر أهم ما تسعى إليه.

يقول **عبد المجيد حنون**، إن دراسة الآخر تهدف إلى غرضين أساسيين:

الأول: تحديد صورة الشعوب لدى بعضها البعض وتبيان قيمتها الأدبية.

الثاني: إدراك الشعوب للأوهام التي تكونت حول بعضها البعض، فتظهر عقلياتها من تلك الأوهام ما أمكن².

يؤكد **ماريوا فرانسوا غويارد** Guyard، أن دراسة الصورة تساعد بلدين على تحقيق نوع من التحليل النفساني القومي، لأنهما حينما تعظم معرفتهما بمنبع أوهامهما المتبادلة، فإن كل واحد منهما سيعرف نفسه أفضل من ذي قبل، وسيكون أكثر سماحة بإزاء الآخر الذي احتفظ إزاءه برأي سيء يشبه رأيه فيه³.

ونفس الرأي نجده عند **كلود بيشوا** CALUDE PICHO و**أندريه روسو** ANDRE ROSSO أن هذا النوع من الدراسة تم بروح نقدية كريمة معا يمكنه أن يساعد بلدين على القيام بنوع من التحليل النفسي القومي، حيث يعرفان مصدر أحكامهما المسبقة معرفة أفضل، وبذلك يعرف كل منهما نفسه بصورة أفضل، ويكون أكثر تسامحا مع الآخر الذي كان يعتمد أساسا على ميول شبيهة لما عنده⁴.

¹ دانييل هنري باجو: الأدب العام والمقارن، ص 93.

² عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ص 76.

³ سعيد علوش: إشكالية التيارات والتأثيرات في الوطن العربي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1986، ص 156.

⁴ كلود بيشوا واندريه روسو: الأدب المقارن، تر: أحمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ط3، 2001، ص 149.

وصبري حافظ يرى أن معرفتنا بتصورات الآخر عنا ضرورية لمعرفة نوايا هذا الآخر تجاهنا ولمعرفة أبعاد خفية فينا حيث لا تكتشفنا إلا العين الغربية، لأن شدة الألفة تصيب أحيانا بشيء من العمى، وخاصة إذا ما كان موضوع الرؤية لصيق بنا إلى حد يصعب معه أن نراه بصورة متجردة، ناهيك على رؤيته بصورة نقدية أو مستهجنة، كما أن المعرفة قد تساعدنا، إذا ما أدركنا تفاصيلها ومراميها في الوقت المناسب على إحباط ما ينويه الآخر بنا من شرور، وعلى الاستفادة لما يرجوه لنا من خير¹.

فالتعارف والتطهير والتفاهم والتعاون هي أهم الأسباب لدراسة الصورة ولهذا تهتم الشعوب المختلفة بدراستها.

6. أسباب تباين صورة الأنا عن الآخر:

إن التباين كبير بين صورة شعب من الشعوب في أدبه القومي (صورة الأنا) وبين ذلك في الآداب الأجنبية (صورة أخرى) ويمكن رد هذا التباين إلى أسباب أهمها:

أ. السبب الأول:

صورة الأنا تستند إلى تجارب وخبرات غنية وكافية قام بها الأديب في المجتمع الذي يصوره، إذ ولد ونشأ في ذلك المجتمع، وهو يعرف العديد من أبنائه عن كثب، وتربطه ببعضهم علاقات قريبة وصداقة وغيرها من العلاقات الاجتماعية والنفسية، وهكذا فإن المعرفة العميقة والشاملة بالمجتمع الذي يصوره الأديب، تجعل الصورة التي يرسمها في أدبه غنية ودقيقة وتفصيلية، وذلك خلافا لصورة يقدمها أديب لشعب آخر لا يعرفه حق المعرفة "أليس أهل مكة أدرى بشعابها"².

¹ صبري حافظ: أفق الخطاب النقدي، دار الشرقيات، القاهرة، ط1، 1996، ص 229.

² بتصرف ماجدة حمود: مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، ص 111.

وهكذا فإن معرفة الأديب بخبايا المجتمع الذي يصوره قد جعلت الصورة التي يرسمها في أدبه دقيقة وذلك بخلاف الصورة التي ينقلها للآخر.

ب. السبب الثاني:

يتمثل في "أن الأديب الذي يصور مجتمعه هو ابن ذلك المجتمع، وهو مرتبط بها ماديا واجتماعيا ونفسيا وحتى أخلاقيا"¹.

فالأديب الحق هو الذي يحمل هموم مجتمعه، ويحرص عليه، فهو ملاذ أفراده وأحلامه، لذلك حين يقدم صورة لمجتمعه تكون مطبوعة بطابع العلاقة الاجتماعية والنفسية الوثيقة التي تشيد الأديب إلى مجتمعه.

وقد يرسم الأديب أحيانا صورة سلبية لمجتمعه، وقد نجد وراء تلك الصورة رغبة عارمة في الإصلاح والتغيير نحو الأفضل، وليس الإساءة لذلك المجتمع.

تقول ماجدة حمود "أن الصورة الأدبية التي يرسمها أديب ما لشعب أجنبي لا تستند في أغلب الحالات إلى أساس صلب من التجربة والمعرفة والإحاطة بأوضاع ذلك المجتمع، وكثيرا ما تكون مصدر تلك الصورة أسفار أو رحلات قام بها الأديب إلى بلد أجنبي، أو إقامة الأديب في ذلك البلد فترة طويلة أو العمل أو العلاج، وبإمكان الأديب أن يقيم في البلد الأجنبي لأنه ضاق ذرعا بالعيش في بلاده"².

وعلى سبيل المثال:

* إقامة الشاعر خليل حاوي في بريطانيا من أجل الدراسة.

* إقامة عبد الوهاب البياتي في إسبانيا بسبب الظروف السياسية في بلده.

¹ المرجع السابق: ص 111.

² المرجع: نفسه ص 111.

ترى ماجدة حمود: "أن كثيرا ما ترجع تلك الصورة إلى مطالعات الأديب أو إلى أحاديث سمعها حول البلد الأجنبي فقسم كبير من الأدباء الغربيين قدموا في أعمالهم صورة للشرق العربي الإسلامي دون أن تتأقأ أقدامهم ذلك الشرق الذي صوروه"¹.

ومثال ذلك:

*الألماني غوته *GOETHE*: الذي عرف الشرق العربي عبر كتاب ألف ليلة وليلة والمعلقات والقرآن والكتب التاريخية.

*الألماني كارل ماي *karll may*: نجده قد قدم في رواياته صورة عن شعوب الشرق.

يمكننا القول أن الصورة التي يرسمها أديب ما لمجتمع أجنبي، لها علاقة بمشكلات الأديب نفسه ومشكلات قومه، فهي لا تعبر عن مشكلات ذلك المجتمع وهمومه وقضاياها، فأحيانا يذوب الفرد في الجماعة فيعبر عن آمالها وآلامها وأحيانا يستفرد بنص لذاته وينطلق معبرا عن طموحاته دون غيرها.

7. صورة الشرق لدى أدباء الغرب:

اهتم المستشرقون بالعالم الإسلامي منذ آلاف السنين واتجهوا نحو الشرق وخصوصا العربي، بكل ما يحويه من ثقافات ومعارف وعادات وتقاليد، وما يتعلق به من سمات ثقافية أو حضارية أسست لوجوده في هذا العالم.

وقد كانت البدايات الأولى لظهور الاستشراق: "في أعقاب الصدام العنيف بين الحضارتين المختلفتين، الحضارة الإسلامية، والحضارة الغربية المسيحية"².

¹ المرجع السابق: ص 112.

² بتصرف، محمد فاروق النبهان: الاستشراق تعريفه، مدارسه وأثاره، منشورات المنظمة الإسلامية، الرباط، د ط، 2012، ص 08.

ولقد اتسمت صورة الشرق في آثار الأدباء الغربيين بسمتين رئيسيتين هما:

*الأولى: رؤية الشرق بعين أوروبية أو بالأحرى ليست رؤية واقعية، "فالمرء مهما حاول لا يستطيع أن يرى إلا عبر منظاره وأفقهِ"¹.

فالشرقي بدوره لا يستطيع أن يرى الغرب إلا بأعين شرقية.

*الثانية: أن صورة الشرق تلبي من الناحية الإنتاجية والاستقبالية حاجات ثقافية أوروبية وعلى رأسها حاجتان:

-الحاجة إلى الغرائبية التي وجدت ضالتها في الشرق وهي "ذات قيمة ترفيحية كبيرة، وذلك لما تنطوي عليه من إثارة، خاصة حيث تترافق مع مغامرات في بلاد بعيدة، والحاجة إلى تأكيد الهوية"².

يقول تيري هنتش *TERRY HENTECH DAVID* في هذا الصدد: "إننا نريد فهم ذواتنا من خلال النظرة التي نلقيها على الآخر أي الذهاب إلى منابع المفكر فيه للتفكير في ذواتنا، وفي موقفنا السياسي تجاه الآخر"³.

إن الشرق والغرب مكملان لبعضهما البعض "فكل منهما كيان جغرافي ثقافي، ناهيك بكونه كيانا تاريخيا وهكذا فإن الشرق، شأنه في هذا شأن الغرب نفسه"⁴.

¹ المرجع السابق، ص 112.

² المرجع نفسه، ص 113.

³ رشيد رايس: صورة الجزائر في الكتابات النثرية الفرنسية خلال القرن التاسع عشر، أطروحة دكتورا، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003، ص 23.

⁴ إدوارد سعيد: الاستشراق - المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص 48.

وقد كان الشرق لدى أدباء الغرب أرضاً مستباحة تصلح لتتفيس المكبوتات وتحقيق الأطماع .

وتعود صورة الشرق في آداب الغرب إلى القرون الوسطى، فنجد رولان *Roland* يتغنى ببطولات الغربيين ضد المسلمين، ويحارب الهمجيين المسلمين ويهزمهم، ويصفهم بالحنفة والوثنيين وأنهم جهلة لا يعرفون حقيقة الإله والدين.

ويشير إدوارد سعيد *EDWARD SAID* إلى أن اللورد كرومر *Lord Cromer* في كتابه مصر الحديثة، يصور الشرقيين والعرب على أنهم سذج مجردون من الطاقة والمبادرة، ومجبولون على التملق المفرط والخداع والقسوة على الحيوانات، كما يصفهم بأنهم خاملون ومريبون ويرى أن صورة الشرق لدى الغرب لم تقف عند هذا المستوى، فالسمة الأكثر شذوذاً هي ما يعتقد بعض المستشرقين أن العربية كلغة خطيرة إيديولوجياً¹.

ويرى كلا من بلفور *Balfour* و كرومر *Cromer* على سبيل المثال وظفا العديد من الألفاظ المشوهة عن الشرق، بقولهم: "فالشرقي غير عقلائي، ومستقيم، وناضج"².

أما لوي برتران *Louis Bertand* في "السراب الشرقي" يقول "هذا القطيع من البشر، هؤلاء الناس الذين يشكون من سوء المسكن وسوء التغذية، والمتدثرين بقطعة من قماش لا يكادون يتميزون لولا شكل وجوههم عن الحيوانات التي يعيشون بينها"³.

تعتقد قباني أيضاً بأن الغرب صور الشرق كمنطقة خطيرة حيث ينتشر الإسلام بين أجناس وضيعة، وصور الشرقيين على أنهم سود، برؤوس كلاب وقبيحون⁴.

¹ ينظر المرجع السابق: ص 152.

² ينظر المرجع نفسه: ص 40.

³ الرفاعي عبد الجبار: الإسلام في الوعي الغربي، صحيفة الوسط البحرينية، العدد 2646، 2009/12/04.

⁴ ينظر رنا قباني: أساطير أوروبا نحو الشرق، تر: صباح قباني، دار طلاس، دمشق، ط3، 1993، ص 14-34.

وترى بأن لين رسخ العديد من المفاهيم الغربية التقليدية المشوهة حول الشرقيين "فقد اعتبرهم مؤمنين بالخرافات، وكسالى ومنغمسين في الشهوات ومتعصبين دينياً"¹.

نستخلص مما تقدم أن الرحالة والأدباء الغربيين كانوا يتناقلون شهادات بعضهم البعض في صورتهم المشتركة حول الشرق، وقد جاءت صورة مطردة متراكمة، وقد ظلت مشوهة حتى الوقت الراهن.

ويعصفون الإنسان الشرقي بأشنع صور والمواصفات الدميمة القبيحة. وذلك من أجل الحط من قيمته وتشويهه في نظر الآخر.

8. الصورة وأدب الرحلة:

من اللافت للنظر أنه مع اتساع رقعة السفر وتوفر المواصلات إلا أن أدب الرحلة بقي كفرصة جيدة لإظهار المواهب الأدبية في وصف الديار التي يمر عليها، والأخطار التي تواجه الرحالة وكل ذلك مصاغ بأسلوب أدبي راقٍ، لينتج أدبا باقيا يتجاوز الغرض الأساسي الذي وضع من أجله ليصبح وثيقة تاريخية.

وقد ظهر أدب الرحلة على يد الجغرافيين والمستكشفين الذين انصب اهتمامهم على تدوين كل ما شاهدوه، ثم إن النقلة الكبيرة لأدب الرحلة كانت مع ظهور حركة الاستشراق الذي يهتم برصد صورة الآخر غير الأوروبي، ومحاولة تحليل صورته انطلاقاً من أبعاد مختلفة تهدف في مجملها إلى تقصي حقيقة الآخر وإعادة تصويرها.

وهذا ما يؤيده إدوارد سعيد في مقدمة كتابه الاستشراق "بالنسبة إلى الغرب انطوى فهم الإسلام على محاولة تحويل تنوعه إلى جوهر وحداني غير قابل للتطور وقلب

¹ ينظر المرجع السابق: ص 63.

أصالته إلى نسخة منحة من الثقافة المسيحية، ومسح شعوبه إلى كاريكاتوريات مثيرة للعرب¹.

وقد تزايد اهتمام الغرب وخاصة الأوروبيون بالشرق في القرن السادس عشر ميلادي، وكان هذا ناشئاً في عصر النهضة الأوروبية مطلع القرن السابع عشر كانت أشعة الشرق تستهوي الناس وتجعل عيونهم تتجه إلى بلاد المتوسط الشرقي².

ومن الرحالة المستشرقين نجد اميليا إدواردز **EMILIA EDWARDS** حيث قامت برحلتها إلى بلاد الشرق، وبالتحديد إلى مصر وصفت أهرامها وطبيعتها الساحرة وتأثرت بحضارتها وعاداتها وآثارها³.

كذلك قدمت رنا قباني تحليلاً مستفيضاً للصورة الخيالية للشرق التي خلقتها أوروبا لنفسها حسبما وضعها كتابها ورسموها في لوحات فنية تثير الدهشة والاستغراب.

وكتبت هذه الدراسة للقارئ العربي لتكون إسهاماً في تقويض الصورة التي رسختها في أعماقه كتابات الرحالة والمغامرين الأوروبيين عن الشرق والعرب والإسلام⁴.

ونجد من أهم الرحالة المستشرقين في بلاد العرب أو المشرق:

***ومونجو باديا لابلخ Domingo BadiayLeblich**: إسباني وهو أول رحلة غربي يزور الشرق وذلك عام 1807.

¹ إدوارد سعيد: تعقيدات على الاستشراق، تر: صبحي حديدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1996، ص 28.

² ينظر عبد الرحمان البيطار: رحلات الفرنسيين وأثارها في الميثاقفة، دمشق، 2008/11/18.

³ ينظر اميليا إدواردز: رحلة ألف ميل، تر: إبراهيم سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د ط، 1997، ص 08.

⁴ ينظر رنا قباني: أساطير أوروبا عن الشرق، ص 11.

*الروسي أولريخ جاسبر سيتزن *Hilrich Jasper Ceetzen*: قام برحلته إلى الجزيرة العربية.

*السويسري جوهان لودفجوركهارت *Johann LodvigBurkhart*: رحلات في بلاد الشام 1814.

*الفنلندي جورج أوغست والين *Ougust Gearge Wallin*: يوميات في الشرق 1845¹.

*الإنجليزي ريشارد بيرتون *Burton Sia Richard*: قام برحلته إلى الحجاز سنة 1852.

*الفرنسي شارل ديديه: قام برحلته إلى أرض الحجاز عام 1845م².

بالإضافة إلى رحلة ماركو بولو *MARCO POLO* الأولى والثانية، رحلة الأمير رودولف إلى الشرق في ثلاثة أجزاء، كذلك رحلة الفرنسي بيير جوردا *PIERRE GOURDA* إلى الشرق في القرن 19، رحلة بروتوت *PRO TUT* إلى مصر، رحلة جيراردينار فال *GERATD DINAR FALL*.

قد تمكن أدب الرحلة الغربي من تنميط المشرق والمشرقيين، وذلك عبر رسم صورة لثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم وآثارهم، وركز في نظرتهم للغرب والعالم على تتبع ملامح النهضة العلمية والصناعية وتطور العمران، وأصبحت وثيقة تخدم العرب أنفسهم في محاولة لمعرفة الكيفية التي كانت تدار بها الحياة في بعض المناطق.

¹ الملك عبد العزيز: أشهر الرحالة المستشرقين، معجزة تاريخية، العدد 15799، 26 سبتمبر 2011، مجلة الرياض.

² عبد الله الركابي: الرحالة المستشرقون في بلاد العرب، منتدى عنزة الوائلية، 2008/07/20، 07:30.

وانصرف العرب خلال القرون الثلاثة الأخيرة إلى بحث عن الشغف الجديد والرغبة في الاستكشاف من باب الفضول المعرفي، واستلهم التجارب وطلب العلم، ومواكبة التطور الأوروبي واقتفاء أثر الآخر¹.

وهذا ما يؤكد محمد غنيمي هلال في كتابه الأدب المقارن: "دراسة صورة شعب ما في أدب شعب آخر إنما تدل على وعي للذات والعالم، كما تسهم في تعزيز التفاهم بين الشعوب، وتساعد على نشر لواء الإنسانية لتسيير الشعوب وراءه إخواناً"².

فالذات لا تعني ذاتها إلا بوعيها بالآخر الذي يعكس جزءاً من سماتها، وكيونيتها فهي تهدف إلى محاولات فك طلاسمه من خلال التعرف على ثقافته وفكره ومختلف خباياه، ودراستنا لصورة شعب ما تسهم في توطيد التواصل بين هذين الشعبين.

مما أوردنا في هذا الفصل التمهيدي أن الصورولوجيا مبحث من مباحث الأدب المقارن وهي مفهوم يهتم بدراسة وتحليل ورصد الصورة الثقافية التي تكونها وتحملها الشعوب عن بعضها البعض في سياق شروط موضوعية معينة تقتضي وجود ثقافة مغايرة.

وأن مفهوم الصورولوجيا عالج الكثير من الإشكاليات من أهمها ماهية صورة الآخر، وكيف تتشكل منه صورة الأنا وتلقي كل منهما لدى الطرف المغاير ثقافياً.

¹ ينظر معتصم: العرب وجارتهم أوروبا، 11 نوفمبر 2003.

² محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص 346.

الفصل الأول

1. مفهوم الرحلة
2. تاريخ أدب الرحلة
* عند العرب
* عند الغرب
3. دوافع الرحلة
4. أنواعها
5. قيمة أدب الرحلة
6. أهمية أدب الرحلة

1. مفهوم الرحلة اصطلاحاً:

مما لا شك فيه أن الوقوف عند تعريف جامع وشامل للرحلة أمر صعب، وهذا ما يفسر تعدد التعاريف التي صاغها الباحثون والمهتمون بهذا المجال، فلا غرابة إن تعددت الأسماء، فيمكن أن نجده الرحلة أو أدب الرحلة، أو الأدب الجغرافي، فهنا المقصود نفسه.

ف نجد في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب أن الرحلة "هي مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته"¹.

من هذا التعريف نستخلص أن الرحلة لا ينحصر معناها في التنقل فقط وإنما تعبّر أيضاً عن مخلفات أدبية أي كتب ومخطوطات تحمل في طياتها رحلات مؤلفها ومعاملاته من سلوك وتصرفات فهي تحمل في أحشائها ما تعايشه الرحالة خلال فترة سفره في شتى المجالات.

يقول حاتمي محمد "أن الرحلة مصطلح أدبي وجغرافي، يقصد به غالباً ذاك المنتج الذي يروم التنظير لأبيات السفر والمسير، ذلك الخطاب الذي يتتبع نشاط الرحالة وهو يجوب البلاد ويقطع المسافات إما عبّرة واستبصاراً، أو حجا واعتماراً، وربما نزهة واستطلاعاً، أو طلباً للمعارف والعلوم، أو سعياً لاكتساب التجارة"².

¹ وهبة مجدي وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط 2، 1984، ص 17.

² محمد حاتمي: في الخطاب الرحلي. www.aljabriabed.net.

يعرفها **دانييل هنري باجو**: "أنها انتقال ضمن الفضاء الجغرافي، والزمن التاريخي، وهي انتقال أيضا ضمن نظام اجتماعي وثقافي"¹.

أما **صلاح الدين الشامي**: فيرى أن الرحلة "جزء أصيل من حركة الحياة على الأرض، وقد لا تتجاوز الرحلة مسافة قصيرة في بعض الأحيان، وقد تمتد وتطول حتى تغطي أطول المسافات بين المكان والمكان الآخر"².

نفهم من خلال التعريفين السابقين أن الرحلة هي الانتقال من حيز مكاني إلى آخر، سواء طالت المسافة أو قصرت، ويكون هذا الانتقال اجتماعيا وثقافيا.

كما عرف **الإمام الغزالي** الرحلة بأنها: "تويع حركة ومخالطة"³. أي لابد أن تكون في الرحلة حركة وانتقال حتى تكون مخالطة.

يضبط **بطرس البستاني** مصطلح الرحلة بأنه: "انتقال فرد، أو جماعة، من مكان إلى مكان آخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة"⁴.

فالرحلة انتقال من مكان إلى مكان آخر، وتكون لدافع ذاتي أو دافع عام، أو لغرض معين.

أما **المعجم الأدبي لعبد النور جبور** فلم يقدم تعريفا كافيا لأدب الرحلة، فيكتفي بأن يورد ما يلي: "نزلت الرحلة في الأدب الحديث منزلة رفيعة، وأصبحت فنا من الفنون الشائعة في معظم بلدان العالم... إن الإشارة في فن الرحلة متأتية من الوصف الظريف للواقع، والسرد الفني للمغامرة"⁵.

¹ دانييل هنري باجو: الأدب العام والمقارن، ص 48.

² صلاح الدين الشامي: الرحلة عين الجغرافية المبصرة، دار المعارف، مصر، ط 2، 1999، ص 07.

³ أحمد بن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 2، ط 1، 1986، ص 273.

⁴ بطرس البستاني: دائرة المعارف، مطبعة المعارف، بيروت، مج 8، د ط، 1984، ص 564.

⁵ عبد النور جبور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، لبنان، ط 2، 1984، ص 121.

من خلال هذا التعريف يتضح لنا أن أدب الرحلة أدب حديث، وقد أصبح أحد فنون الأدب المهمة.

ولقد تطرق عبد النور جبور في تعريفه هذا أن عنصر الإثارة يكمن في السرد ووصف ما تعايشه الرحالة أثناء سفره.

وفي معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة يبين أن أدب الرحلة: "هو أدب يدخل في درس الصورولوجيا، أي دراسة شعب لدى شعب آخر"¹.

ويمكن تعريف أدب الرحلة أيضا بأنه "ذلك النثر الذي يتخذ من الرحلة موضوعا، أو بمعنى آخر الرحلة عندما تكتب بشكل أدبي ثري متميز، وفي لغة خاصة، ومن خلال تصور بناء فني له ملامحه وسماته المستقلة"².

ويعرفها في موضع آخر بأنها "مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها إلى وصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق"³.

كما يذهب أدب الرحلة بأنه: "كافة المؤلفات، والمدونات، والمخطوطات التي وصلتنا من العصور الماضية، والتي تحتوي على مجموعة من المشاهدات والقصص التي عاصرها الرحالة في الأماكن التي وصلوا إليها... ونقل مواصفات الطبيعة الموجودة في مناطق العالم غير المكتشفة"⁴.

يقدم إميل بديع يعقوب في معجمه مفهوما آخر لأدب الرحلة: "هو الأدب الذي يضمه الكاتب الرحالة انطباعاته، ومشاهداته في الأقطار المختلفة التي

¹ علوش سعيد: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، 1985، ص 98.

² عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي، دار الوفاء، القاهرة، ط 1، 1995، ص 40.

³ المرجع نفسه: ص 38.

⁴ مجد خصر: مفهوم أدب الرحلة، 25 سبتمبر 2017، 07:31.

يزورها، وتشتمل على وصف الطبيعة الجغرافية، كما تشتمل على وصف عادات الناس وتقاليدهم، وأنماط حياتهم وتفكيرهم، ونبذة عن تاريخهم البعيد والقريب، مما يجعلها في بعض الأحيان مرجعا وثائقيا تاريخيا هاما، وموضوعا للدراسات المقارنة في مختلف مجالات الأدب¹.

ويحدد محمد مروان أن أدب الرحلة "يعكس ويوثق كل ما صادف الرحالة عبر رحلاته كلها، حيث أن الكاتب أو الرحالة ينقل كل ما يراه خلال رحلاته ويوصف الأماكن التي زارها كلها، ويصف عادات الشعوب وأهلها، وينقل كل المواقف التي تعرض لها خلال رحلته التي قام بها"².

أما أنجل بطرس فقد عرف أدب الرحلة: "بما يمكن أن يوصف بأدب الرحلات الواقعية، وهي الرحلة التي يقوم بها رحالة إلى بلد من بلدان العالم، ويدون وصفا له، يسجل فيه مشاهداته، وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب والقدرة على التعبير"³.

أوردت الخامسة علاوي مفهوم عبد الفتاح كيليطو لأدب الرحلة الذي يقول بأنه "مجموعة من الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، يتعرض فيها لوصف الطبيعة التي يشاهدها أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد"⁴.

¹ اميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في اللغة والأدب، ص 60.

² محمد مروان: تعريف أدب الرحلة، منوعات أدبية، 2 جوان 2017، 11:40.

³ أنجل بطرس: الرحلات في الأدب الإنجليزي، مجلة الهلال، العدد 7، السنة 3، 8 جوان 1975، ص 52.

⁴ علاوي الخامسة: العجائبية في أدب الرحلات-رحلة ابن فضلان أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005، ص 36.

تجمع التعريفات السابقة على أن أدب الرحلة هو ذلك الفن الذي نعتبره بمثابة مرآة عاكسة لما يمر به المؤلف أثناء رحلاته، وينقل فيه المواقف التي يتعرض لها وانطباعاته إزاء البلدان التي سافر إليها.

2. تاريخ أدب الرحلة:

1.2. عند العرب:

يعتبر أدب الرحلة من أقدم أنواع الآداب المعروفة عند العرب، وقد اهتموا بهذا النوع من الأدب اهتماما واضحا، باعتباره سلوكا وعادة، لأنهم كانوا أهل بدَاوة يعتمدون على الحركة والانتقال، ذلك أن طبيعة حياة العربي فرضت عليه أن يعيش حياة الارتحال بحثا عن الماء والكأ، ولأنهم كانوا تجارا كانوا يضربون في الأرض بحثا عن المال والكسب، ويشهد على ذلك رحلاتهم التي اشتهروا من خلالها عبر مختلف فترات تاريخهم، والتاريخ يشهد أنه: "كانت للعرب رحلات تجارية مزدهرة خاصة مع العراق والشام واليمن، وإن لم تدون أخبار هذه الرحلات تدويننا خاصا شاملا لها أو جامعا"¹.

وذكرت الرحلة في القرآن الكريم لقوله تعالى: "{إِلَّا يَلَافُ قُرَيْشٌ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ}"².

وهي رحلة دقيقة باعتبارها كانت رحلة موسمية.

ولقد كان للعرب رحلات منذ الجاهلية (قبل الإسلام)، حيث أشار إليها العديد من الشعراء في قصائدهم، نذكر قول النابغة الذبياني:

¹ ينظر فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية، القاهرة، ط 2، 2002، ص 25.

² سورة قريش: الآية (1،2)، ص 602.

كأنني شددت الرحيل حيث تشدّرت على قارح مما تضمن عاقل¹.

فالشاعر الجاهلي كان حريصا على وصف رحلاته، ومشاهد رحلته.

وبمجيء الإسلام انطلق العرب في الفتوحات خارج الجزيرة العربية، والتي هيأت لهم أفاق الاتصال مع غيرهم عن طريق السفارات والبعثات، فالتسعت بذلك رقعة الدولة الإسلامية التي امتدت من الصين شرقا وحتى المحيط الأطلسي غربا².

فلقد انتقل العرب من حياة الانغلاق على الذات إلى حياة الانفتاح على الآخر، يقول تعالى: { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ }³.

الملاحظ في هذه الآية أن الله تعالى دعا إلى السفر والسعي في الأرض والانتقال فيها، وقد جاءت هذه الدعوة مرتبطة بالحث على توظيف العقل من خلال ضرورة الاعتماد على التدبر في أحوال الأمم والاستفادة منها، وهذا ما يؤكد أن الرحلة وراءها دوافع وأهداف.

ففي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم دعوات كثيرة إلى الرحلة والسفر فقال: "من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع"⁴. رواه الترمذي.

كما قال: "من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل له طريقا إلى الجنة"⁵. رواه مسلم.

¹ عباس عبد الستار: ديوان النابغة الذبياني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 1996، ص 153.

² ينظر أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي، د ط، د ت، ص 07.

³ سورة الأنعام: الآية (11)، ص 129.

⁴ فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص 32.

⁵ المرجع نفسه: ص 32.

وقد كانت الرحلات في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم محدودة، لأنهم كانوا منشغلين بنشر الرسالة المحمدية، ومع ذلك "فيمكن اعتبار الهجرات التي قام بها كل من الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة، لحماية الدين الجديد والدعم له رحلات"¹.

استطاع الدين الجديد أن يغير النظرة للرحلة، فرحلات العرب كانت في كثير من الأحيان للبحث عن الكلاً أو الغزو والحروب، أما بمجيء الإسلام، واتساع رقعة الدولة الإسلامية، نشطت حركة التنقل للتجار، والحج، والغزو والاستكشاف، فظهر رحالة كثيرون، وكان للإسلام أثره البالغ في تكوينهم ومن أشهرهم:

اليعقوبي (ت 897 م): أبو عباس أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، يعد أهم الجغرافيين والرحالة المؤرخين خلال القرن 9م، قامت شهرته على أثرين من آثاره هما: **كتاب البلدان**، تحدث فيه عن كبريات المدن في بلاد الإسلام، و**كتاب تاريخ ابن واضح أو تاريخ اليعقوبي**، وتحدث فيه عن تاريخ الشعوب في فترة ما قبل الإسلام.

حظي اليعقوبي بقدر كبير من اهتمام وإحرام الدارسين والباحثين لأمانته العلمية، ودقته وابتعاده عن العجائب والغرائب².

سلام الترجمان (ت 842 م): سمي الترجمان لأنه كان يعرف ثلاثين لساناً.

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 32.

² فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص 117.

يقول عنه **فؤاد قنديل**: "اشتهر الترجمان بين أهل سر من رأى سامراء بإجادته التحدث بعديد من اللغات، حتى سمي الترجمان، ولا نعرف شيئا عن أخباره، ولم يرد له ذكر في أي من معاجم الأعلام"¹.

أما رحلته فهي من الغرابة بمكان كلفه بها الخليفة ليستكشف له مكان سد ذي القرنين، فهناك من يقول أنها خيالية ضربا من الأساطير، وهناك من يرى أنها رحلة حقيقية.

علي المسعودي (ت 957 م): أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، وهو من أشهر الرحالة الجغرافيين وأكثرهم ارتحالا وعلماء ومعرفة اشتهر بكتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحدث فيه عن أخبار الزمان ووصف فيها هيئة الأرض ومدنها وعجائبها وطبيعتها وبحارها...².

قام **المسعودي** بثلاث رحلات، حيث كانت الأولى لبلاد فارس والهند وكانت الثانية لبلاد *الخرز ببحر قزوين، أما الثالثة فكانت لبلاد الشام ومصر³.

تتميز كتاباته بالسرد القصصي الجذاب، وروايات نابضة بالحياة، وأسلوب ممتع في التصوير والمزج بين الواقع والخيال.

ابن جبير (ت 1229 م): أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكتاني هو جغرافي، ورحالة صاحب كتاب تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار المعروفة برحلة ابن جبير، هو كتاب وصف الرحلات الثلاث التي قام بها ابن جبير للبقاء المقدسة.

¹ المرجع السابق، ص 91.

² ينظر أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، ص 104.

³ ينظر المرجع نفسه، ص 104.

*بلاد الخزر، هم من الشعوب التي تقطن شمال جورجيا بمحاذاة روسيا.

تميزت كتاباته: "بالغة البسيطة السهلة، والابتعاد عن التكرار والاستطراد أسلوبه يتميز بالجمال والحلاوة محبب إلى النفوس"¹.

كما تميزت: "بدقة الملاحظة، وسهولة العبارة... لا يلتفت إلى الصنعة إلا نادراً"².

إبن بطوطة (1875م): محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة، هو رحالة ومؤرخ وفتي، وقاض، لقب بأمير الرحالين المسلمين، أشهر رحالة العرب.

من أشهر الرحلات التي قام بها، رحلته المشهورة المسمى بـ: **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، وهي رحلة بدأت من أقصى الشمال الغربي (طنجة) حيث سار مخترقاً جميع بلدان المغرب العربي وصولاً إلى مصر، ثم متجهاً إلى بلاد الشام حيث أدى فريضة الحج، بعدها سافر إلى العراق... وتجول في بلدان شبه الجزيرة العربية... بعدها عاد إلى مصر ثم الشام ثم العراق ومضى إلى القسطنطينية..."³.

فهو كتاب وصف جميع الرحلات التي قام بها **إبن بطوطة**.

كما نجد رحالة آخرين نذكر منهم: **البيروني، ابن الفقيه، سليمان التاجر، ابن رسته...**

من خلال دراستنا لتاريخ أدب الرحلة عند العرب نلاحظ أن العرب كانوا كثيري الترحال والتنقل لأن حياتهم تفرض عليهم ذلك وهذا قصد العيش والكسب، هذا في العصر الجاهلي وبمجيء الإسلام أصبح الترحال الغاية والهدف هو نشر الإسلام في جميع الأقطار العربية وغيرها عن طريق اتصالهم واحتكاكهم

¹ بتصرف، فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص 398.

² كردي إبراهيم علي: الرحل في بلاد المغرب والأندلس، مكتبة الأسد، دمشق، د ط، 2013، ص 34.

³ المرجع السابق، ص 490.

مع حضارات أخرى وهنا بدأ الانفتاح العربي على العلوم والفنون الأخرى، ولقد ظهر العديد من الرحالة نذكر منهم، ابن بطوطة الذي جاب مختلف بقاع الأرض وهذا بغية اكتشاف وتطلع على ثقافات عربية وغيرها.

2.2. عند الغرب:

إن المطلع على التراث الغربي لأدب الرحلة كان خاملاً في بداياته، ولم يكن هذا اللون الأدبي معروفاً في أوروبا خلال القرون الوسطى، عدا تلك الرحلات الدينية، حتى حدث ذلك الانقلاب الثقافي المعرفي والاجتماعي الذي حصل إبان النهضة، مما حدا بالأوروبيين إلى الرغبة في الترحال والسفر والانتقال من مكان إلى آخر، بهدف الاكتشاف ومعرفة ما يحيط بهم، وهذا ما حصل سنة 1492م، باكتشاف العالم الجديد (أمريكا)، ومع بداية القرن 16م، حدث تطور كبير في الرحلات الاستكشافية وذلك بفضل ما توافر من معارف جغرافية عن السواحل الإفريقية. ونجد من بين المستكشفين:

***كريستوف كولومبس** *Columbus christophores* (1451 –

1506) وهو رحالة إيطالي نسب إليه اكتشاف العالم الجديد (أمريكا) ومن أول رحلاته كانت إلى جزر الباهاما.

***فاسكو دا جاما** *Vasco de Gama* (1469 – 1524): يعد من

أنجح مستكشفي البرتغال¹.

إن التطور الهائل الذي عرفته أوروبا، كانت وراءه دوافع اقتصادية بحتة، ودوافع دينية تمثلت في الحج وزيارة الأماكن المقدسة، ودوافع روحية أو سياسية، دوافع معرفية جعلت الرحالة في كثير من الأحيان يعتمد على نفسه في تمويل الرحلة. "وخلال القرنين 17 و18 تطورت العلاقات والاتصالات بين دول

¹ سلسلة الأطلس: الرحلات، الكتاب 3، ص 41.

أوروبا وبلدان إفريقيا وأمريكا، مما زاد في تحفيز العلاقات الاقتصادية والعلمية بين هذه القارات، وهذا ما جعل الأوروبيين يكتفون من رحلاتهم¹.

وهنا عرفت أوروبا ذروة وقيمة في البعثات العلمية والاقتصادية الكبرى. ويمكن التمثيل بعدد كبير من هؤلاء الرحالة الأوروبيين:

***ماركو بولو (Marco polo) 1254 - 1324:**

ولد في البندقية قام برحلة رفقة والده وعمه إلى الصين، بغرض التجارة استغرقت رحلته 25 عاما، من أشهر كتبه كتاب العجائب، **le livre des merveilles** قدم فيه وصفا عن العالم الذي شاهده، وحمل هذا الكتاب إلى أوروبا توثيق عن بلدان آسيا وشعوبها وكان ذا تأثير كبير على المفاهيم الجغرافية *والاثنولوجية خلال القرون الوسطى.

***لوي أنطوان دو بوغنيفيل Louis Antoine de Bougainville (1729/1811):**

مستكشف فرنسي، طاف حول العالم، له كتاب شهير "رحلة حول العالم **voyage atour du monde**".

***أنطوان فرانسوا بريفو (Prévost François Antoine) 1763 - (1697)**

مؤرخ وصحفي ورحالة فرنسي، من أشهر كتبه: "التاريخ العام للرحلات **histoire générale des voyages**".

¹ ينظر عزوز نواصري: صورة الجزائر في أدب الرحلة الفرنسي، رسالة ماجستير، جامعة عباس لغرور خنشلة، 2015، ص 36.

خلال القرن 19 شاع في أوروبا لون من الرحلة، هو الرحلة إلى الشرق فقد قام مجموعة من الرحالة الأوروبيين برحلات عديدة إلى الشرق واكتسبوا بذلك صفة الرحالة المستشرقون.

ومن بين هؤلاء الرحالة:

* **نوجلاس كروزرس**: له كتاب مغامرة في جزيرة العرب كتبه بطريقة مشوقة، تنم عن كل ما به من رحلة استكشافية في المشرق العربي، استطاع أن يدعم الكتاب بالصور الفوتوغرافية والتي أفادت كثيرا في قيمة الكتاب.

* **ديفيد جورج هوجارث** *1862 Hogarth George David* –

:1827

مستكشف ورحالة إنجليزي .

* **كلود إتيان سافاري** *1788–1750 Cloud Etienne Savary*

مستشرق فرنسي له كتاب "رسائل عن مصر" *Lettres Sur*

L'Egypte.¹

* **جيمس كوك** *1779–1728 James Cook* هو رحالة ومستكشف

إنجليزي، عمل ثلاث رحلات استكشافية في المحيط الهادي، ورسم خرائط للسواحل واكتشف جزر جديدة، يرجع إليه الفضل في أنه أول واحد يصل للساحل الشرقي.

* **جوستاف فلوبير** *Gustave Flaubert* **:1880–1821** روائي

وأديب ورحالة فرنسي، سافر إلى الشرق سنة 1849، وكتب رسائل من الشرق

.lettres d orient

* الإثنولوجية: هو علم الثقافات المقارن، يعني بخصائص وإنجازات الشعوب وأحوالهم الحضارية والثقافية ومعتقداتهم.

¹ ويكيبيديا <https://www.wikipedia.org>

نلاحظ من خلال دراستنا لتاريخ الرحلة عند الغرب أنها كانت منعدمة ولم يكن معروف عندهم إلى غاية عصر النهضة فأصبح الأوروبيون يسافرون ويرتحلون قصد التطلع والتعرف على حضارات وثقافات أخرى ويرتبط ترحالهم عادة بالجانب الاقتصادي، وعُرف آن ذاك أدب الرحلة تطوراً هائلاً خاصة بعد اللقاء الذي حصل بين الشرق والغرب وهذا ما ساعد على تحفيز هذا النوع من الرحلات من أجل الاكتشاف والتطلع، وقد كانت أكبر أهدافه تصوير العالم العربي واكتشافه.

3. دوافع الرحلة:

يرتحل الأفراد من مواطنهم وبلدانهم لمساعي يصبون ويطمحون لها وتتعدد دوافع الرحلة وتتنوع، بل إن الرحلة الواحدة قد تضم أكثر من دافع يحمّس الإنسان للرحلة، ولأن الإنسان في حياته الدنيا بحاجة ماسة إلى الرحلة والانتقال، ومن أهم دوافع الرحلة:

1.3. الدافع الديني:

يعد الحج الدافع الأساسي للرحالة، ومن أهم الدوافع التي دفعت بهم إلى الرحلة والانتقال، فالحج كان ولا يزال رحلة يتشوق إلى أدائها كافة الناس يقول شوقي ضيف: "إذا كان الحج إلى مكة فريضة إلى كل مسلم وكان المسلمون يتجشمون راضين على مشقة في سبيل أداء هذه الفريضة وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم... ويصف كثيراً من هؤلاء الحجاج طريقهم إلى الأماكن المقدسة في كتب أو في رحلات مختلفة"¹.

¹ شوقي ضيف: الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط 4، 1919، ص 09.

فقد ساعد هذا الدافع على نشر الإسلام وقيمته ومبادئه وذلك من خلال رحلة التعريف بهذا الدين، والتشجيع لزيارة مكة من أجل كسب الثواب والغفران من الله عز وجل.

2.3. الدافع العلمي:

تعود نشأة الرحلة في طلب العلم إلى بداية انتشار الإسلام، لأن هناك من العلوم الإسلامية ما يرتبط بالرحلة ارتباطاً عضوياً لا انفصام له، مثل الجغرافيا، ولذلك نجد الجغرافيين المسلمين من الرحالة¹.

ولعل أبرز رحلة في طلب العلم هو ما نسبته الربيع بن سليمان إلى شيخه الإمام محمد بن إدريس الشافعي وما رواه عنه قوله: "وأقبلت أطوف العراق وأرض فارس وبلاد العجم وألقى الرجال..."².

يرى ابن خلدون "أن الرحلة لا بد منها في طلب العلم، ولاكتساب الفوائد والكمال للقاء المشايخ، ومباشرة الرجال"³.

فالهدف من الرحلة هو التزود بالعلم ومقابلة الشيوخ من العلماء ومشاورتهم ومناقشتهم. وقد كانت الرحلات العلمية معياراً للحكم وتحقيق التقدم والتطور.

3.3. الدافع التجاري:

كانت التجارة منذ القديم أمر يستدعي القيام بالسفر والانتقال من أجل تأمين سبل الحياة والكسب، ثم إن الموقع الإستراتيجي للوطن العربي وكونه مركز لالتقاء الطرق التجارية بين القارات، شجّع العرب على ممارسة الترحال، كما أن

¹ حسين نصار: أدب الرحلة، دار نوبار للطباعة، مصر، ط 1، 1991، ص 32.

² محمد بن إدريس الشافعي: رحلة الشافعي، المطبعة السلفية، القاهرة، د ط، د ت، ص 18.

³ ابن خلدون عبد الرحمان: المقدمة، تح عبد السلام الشدادتي، بيت الفنون والعلوم، المغرب، ط 1، 2005، ص

ازدهار الحضارة الإسلامية وسيادة المسلمين في البر والبحر وطبيعة الدين الإسلامي، كان ذلك من شأنه أن يشجع على الأسفار والرحلات¹.

وهذه الدوافع التجارية دفعت الرحالة إلى تدوين رحلاتهم حتى يعين للقارئ على معرفة طرق التجارة البرية والبحرية.

4.3. الدافع السياحي:

سعى بعض الرحالة إلى البحث عن الحرية والطواف والسفر للتمتع بالحياة واكتشاف سحر جمالها والنظر إلى عناصر الطبيعة الخلابة وهذا بمحض إرادته دون دافع خارج عن حدود الذات².

كما امتدت الرحلة لتتجاوز رُكب الحجاج أو المهام الرسمية، أو طلب العلم فينتهز الراحل الفرصة مدفوعاً بروح المغامرة والاستكشاف والشوق إلى المجهول...³.

أي نية الرحال في إرضاء بعضال من فضوله وحب استطلاع.

5.3. الدافع الصحي:

قد يكون دافع الرحلة السفر من أجل العلاج من مرض أو الاستشفاء منه، أو من أجل إراحة النفس من العناء والتعب وتخليصها من الكدر والمشاق... وقد يكون الدافع هرباً من وباء أو طاعون أو تلوث⁴.

¹ زكي محمد حسين: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، مؤسسة هنداوي للتعليم، القاهرة، د ط، د ت، ص 09.

² ينظر حسين النصار : أدب الرحلة، ص 05.

³ نوال عبد الرحمان الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع هجري، دار المأمون، عمان، ط 1، 2008، ص 46.

⁴ ينظر فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص 20.

6.3. الدافع السياسي:

يضم هذا الدافع كل من الرحلات الإدارية، والسفارية، حيث يوكل بها الرحالة من قبل الحاكم، وهي الرسالة التي يتنافس في أدائها من يكلفون بها مهما واجههم من صعوبات... فالسفير عنوان دولته¹.

كما يضم إلى الاستطلاع والتجسس، والإتيان بأخبار البلاد المجهولة.

هذه من أهم الدوافع التي تدفع بالإنسان نحو الترحال لكن لا نعدم وجود

أسباب أخرى للترحال نذكر منها:

- الرغبة في العزلة والتأمل.

- البحث عن السلام المنشود في البلد الآخر.

- الوحي والإلهام من أجل الإبداع.

- الرغبة في التجديد والتغيير.

- طلب الشهرة وزيادة في الخبرات.

- قد تكون الرحلة من أجل الجهاد.

- قد تكون ظروف تاريخية معينة داعية للرحلة.

يمكن أن نستخلص كل هذه الدوافع في قول عبد اللطيف الصعيدي وهو:

"أن الإنسان في حياته بحاجة ماسة إلى الرحلة والتنقل، من أجل السعي في

كسب الرزق، أو لتحصيل علم نافع أو لأداء فريضة الحج وزيارة البقاع

المقدسة، أو من أجل زيارة أخا في الله للاطمئنان عليه أو قضاء حاجة له، أو

المشي لعيادة مريض، أو التأمل في صنعة خلق الله، أو غير هذا. وهو كثير

من أغراض الرحلة والانتقال"².

¹ ينظر نوال عبد الرحمان الشوابكة: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع هجري، ص 40.

² بتصرف عبد اللطيف الصعيدي: الرحلة في الإسلام-أنواعها وآدابها، مكتبة الدار العربية، القاهرة، ط 1، 1996، ص

فقد اقترن لنشاط الرحلة دوافع نفعية كثيرة، مثل التجارة، والبحث عن سبل آمنة للعيش، أو مشاهدة آيات الله في الأرض، والتدبر فيها، ثم تبليغها للآخرين، وكذلك القيام بالحج والعمرة وطلب العلم من منابعه وأصوله، أو الجهاد في سبيل الله، ونصرة دينه.

4. أنواعها:

للرحلة أنواع، تعددت بتعدد دوافعها كما تعددت تقسيمات الباحثين لها. إذ يقسم شوقي ضيف الرحلة إلى "رحلات جغرافية، ورحلات بحرية، ورحلات الأمم والبلدان"¹.

أما صلاح الدين الشامي فقد صنف الرحلة إلى ستة أنواع: "رحلة الحج، رحلة الحرب، رحلة السفارة، رحلة طلب العلم، رحلة التجوال"².

أما محمد الفاسي في مقدمة كتابه الإكسير في فكاك الأسير قسم الرحلات إلى أربعة عشرة نوع: "الرحلات الحجازية، الرحلات السياحية، الرحلات الدراسية، الرحلات الاستكشافية السياسية، الخيالية، الأثرية، الزيارية، العلمية، السفرية، العامة المقامية، الرسمية، البلدانية"³.

ونلاحظ أن هناك خلط شديد في هذا التقسيم، فما الفرق بين الرحلات الرسمية والسياسية والسفرية؟ والفرق بين الرحلات الحجازية والاستكشافية والسياحية، والفرق بين الرحلات العلمية والدراسية؟.

كما يقسمها الدكتور عبد اللطيف الصعيدي، إلى خمسة أنواع: "رحلات طلب النجاة كالحروب، الفرار من الإذابة، الخروج من أرض البدعة، رحلات طلب الدين كرحلة أداء فريضة الحج أو زيارة البقاع المقدسة أو طلب العلم،

¹ ينظر شوقي ضيف: الرحلات، ص 11 - 65.

² ينظر صلاح الدين الشامي: الرحلة عين الجغرافيا المبصرة، ص 71 - 92.

³ محمد بن عثمان المكناسي: الإكسير في فكاك الأسير، تح محمد الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي، المغرب، د ط، د ت، ص خ.

الرحلة للجهاد، رحلات سياسية كرحلة للتشاور في قضايا مهمة، تصفية النزاعات... رحلات سياحية كالرحلة للتمتع بالحياة، حب الاستطلاع على الطبيعة... حب الاكتشاف والمغامرة... رحلات تجارية لكسب الرزق والمعاش...¹.

يرى الظاهر أحمد مكي أن هناك نوعين من الرحلة هما: رحلة حقيقية وتقوم على الانتقال من مألوف المكان إلى مكان غريب، حيث يعمل الرحالة على تدوين رحلاتهم للبلاد التي زاروها، وهي رحلة مباشرة. رحلة خيالية: فيها يسافر الإنسان إلى بلاد أخرى عن طريق رحلات قام بها آخرون، وتكون انتقال متخيل يقوم به الأديب عبر الحلم أو الخيال إلى عالم غير واقعي، أي رحلة غير مباشرة.²

يمكننا أن نستخلص أن نوع الرحلة يتحدد من خلال الدافع في حد ذاته، فإذا كان الدافع ديني كانت الرحلة دينية وإذا كانت رحلة للمتعة والاستكشاف، كانت رحلة سياحية وإذا كانت لطلب العلم، كانت رحلة علمية، وهكذا تتباين أنواع الرحلات بتباين دوافعها.

5. قيمة أدب الرحلة:

1.5. القيمة العلمية:

تتجلى هذه القيمة في أنها تقوم على مبدأ رصد المعلومات المتنوعة في مختلف المجالات الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية، ووصف المسالك والعمران ونمط المعيشة من عادات وتقاليده، ليكون أدب الرحلة بمثابة مدونة يلجأ إليها الكثير من الدارسين لاستخلاص العديد من المعارف.³

¹ ينظر عبد اللطيف الصعيدي: الرحلة في الإسلام - أنواعها وآدابها، ص 24 - 40.

² ينظر الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن - أصوله وتطوره ومناهجه، دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1987، ص 322.

³ سميرة شرابي: الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري، رسالة ماجستير، جامعة محمد آكلي، 2013، ص 55.

ويمكننا القول أن أدب الرحلة يساعد في "تزويد أهل التاريخ والجغرافيا والآثار والأدب وغيرهما بمعلومات قيمة. عن وصف المدن والطرق والعمران، وأخبار الناس وعاداتهم وتقاليدهم والحوادث الغريبة، بل إن الرحالة أنفسهم يحصلون على علم وافر وتجارب كثيرة في مختلف الميادين في التربية وأساليب التعليم والتدريب، نظرا لما يصادفهم"¹.

حيث أن الرحالة يقومون بالوصف وجلب المعارف، والعلوم من خلال رحلاتهم المختلفة عبر بقاع العالم، ليجمعوا المعلومات ويدونوها فيسُهل على القارئ أو الدارس أن يستفيد منها.

فأدب الرحلة ينقل الواقع بطريقة تفصيلية. ففي مجال التاريخ مثلا تقدم الرحلات معلومات لم يقدمها لنا العلم المختص في هذا المجال.

والرحلات تكشف ما لا يكشفه التاريخ، فالتاريخ يشتمل على تصوير واستقصاء لحياة البلدان وتاريخها بمختلف مظاهرها السياسية، الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وهذا ما حققته الرحلات غير أنها تطرقت إلى تحليل جوانب لم تنطرق إلى تحليلها الوثائق التاريخية، فقامت الرحلات بوضع كل ذلك في دائرة الإشعاع التي توجه إليها لاستجلاء الواقع، وإخراج التاريخ من حدوده الضيقة².

فالرحلات أرادت توسيع التاريخ وإخراجه من الحدود الضيقة، ودعت إلى دراسته من جوانب محددة، وتسليط الضوء على جوانب مختلفة من تصوير الواقع.

كما أن الرحالة يصورون مشاهد جغرافية على سطح الأرض، وذلك بتصوير المناخ والمدن وتوزيع السكان، وكذلك الأقاليم، لذلك تعتبر مرجعا

¹ نوال عبد الرحمان الشوابكة: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع للهجري، ص 53.

² المرجع نفسه: ص 52.

أساسيا للدارسين في هذا المجال وذلك لأن الرحلات سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة في مجتمع بعينه ومرحلة تاريخية محددة¹.

وإذا أمعنا النظر في مؤلفات أدب الرحلة العربي نجد أن القيمة العلمية تتجلى بشكل واضح. كما هو الحال في رحلات البيروني "إذ لم يكن هدفه الرحلة في حد ذاتها قدر اهتماماته بوضع مؤلف في تقويم البلدان، أو وصف حضارة غير إسلامية كما جاء في دراسته للثقافة الهندية"².

إننا نرى في هذه الأعمال، وما قدمت من مادة ثرية، دليلا بارزا على قيمة رحلاتهم في تزويدهم مباشرة بالمعلومات المستمدة من الملاحظة المباشرة، والمعاينة الشخصية عن طبائع أهل ومعالم وحضارة البلدان التي زاروها. أي أن الترحال والانتقال لم يكن الهدف الرئيسي بقدر ما تحمل هذه الرحلة من نقل للعلوم والتزود بها والتعرف على ثقافات الغير ورصد تقاليدهم.

وباعتبار الرحلة نوعا من الحركة، ومخالطة للناس والأقوام، تعد مصدرا ذا قيمة كبيرة لوصف الثقافات الإنسانية ورصد بعض جوانب حياة الناس في مجتمع معين. كما تعد أكثر المدارس تثقيفا للإنسان وإثراء لفكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين.

2.5. القيمة الأدبية:

بما أن أدب الرحلة يندرج ضمن الفنون الأدبية إلا أنه يحمل في طياته مختلف المجالات العلمية والأدبية والجغرافية وغيرها.

كما أنه يحمل كل جماليات الأدب من محسنات بلاغية، وروعة اللفظ وحسن التعبير، وارتقاء الوصف، وبلوغه حد كبير من الدقة، ومن ناحية أخرى

¹ سيد حامد النساج: مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، مكتبة غريب، القاهرة، د ط، د ت، ص 08.

² ينظر حسني محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، ص 12.

نجد هذا الأدب يتنوع من ناحية الأسلوب وهذا ما جعل بعض الدارسين يُدخلون أدب الرحلة ضمن فنون الأدب العربي.

تقول نوال عبد الرحمان الشوابكة: "أن القيمة الأدبية تزود القراء بالمعلومات، وصور ممتعة، وأخبار تُلذ وتُمتع، وتستعرض الأحداث بصورة أدبية، تتسق مع النفس البشرية، فتشكل رافداً من روافد الفن والمتعة الأدبية"¹.

فالقيمة الأدبية في الرحلات تتجلى في عدة مواضيع من خلال ما تعرفه من أساليب فنية ترتفع بها إلى عالم الأدب، وترتقي بها إلى مستوى الخيال الفني².

وكثيراً ما يلجأ الرحالة إلى التصوير فيعتمد إلى إبراز فكرته في صورة مرئية محسوسة وملموسة عن طريق "تحويل ما هو غير مرئي من المعاني إلى المحسوس وتقويم الغائب إلى ضرب من الحضور"³.

فهنا يمزج الكاتب ويقوم بعلاقة ترابطية بين المحسوسات والإحساسات ليدفع بالقارئ لاستحضار الصورة وكأنه هو الذي قام بالرحلة.

وبما أن أدب الرحلة يسرد قصص الرحالة فقد ذهب بعض الدارسين إلى أنه يقترب من فن القصة، وذلك أن معظم الرحلات تقوم على "القصص التي عاشوها أو سمعوا بها، وكأن سردهم لهذه القصص بعفوية وحيوية قربت الرحلة من عالم القصة..."⁴.

¹ نوال عبد الرحمان الشوابكة: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع هجري، ص 53.

² حسني محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، ص 08.

³ بشرى محمد الصالح: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 1، 1994، ص 03.

⁴ نوال عبد الرحمان الشوابكة: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع هجري، ص 306.

إلا أن هناك صنف آخر من العلماء والدارسين ذهبوا إلى أن أدب الرحلة يقترب أيضا من الرواية خاصة في العصر الحديث: "إذ أخذت في الابتعاد عن الشكل القديم والترابط في المقابل وصلت عند بعض الكتاب إلى الشكل الروائي"¹.

وهناك من خالف قول أن أدب الرحلة يقترب بالرواية وذلك راجع إلى أن الرواية تقوم على أساسيات ومبادئ السرد، (مقدمة، عرض، خاتمة، حبكة) في حين أن أدب الرحلة لا يخضع لأي قانون ومن هنا يمكننا أن نعدّها من النمط الروائي، فلهذا الجنس الأدبي قوانينه من عقدة وحبكة وأشخاص... ولا تأبه الرحلة للكثير من القوانين إلا إذا كانت خيالية محضة².

ومن هنا نستخلص أن لأدب الرحلة قيمتين:

***الأولى:** علمية تقوم بنقل المعارف والتزود بها واكتساب رصيد معرفي للشخص.

***الثانية:** أدبية تعتمد على السرد والقص والحكي لتزود القراء بمعلومات وأخبار ممتعة عن الرحلة بأسلوب سلس يعتمد على الإثارة والتشويق فيحس القارئ وكأنه يعيش لحظة السفر.

6. أهمية الرحلة:

لا أحد ينكر ما للرحلة من أهمية علمية تعليمية، نظرا لما تحويه من معارف جمة في مختلف العلوم والفنون، وما أكثر المعارف التي لم يكن للإنسان ليطلع عليها، لولا الرحالة وأخبارهم التي حملوها معهم، كما تكتسي كتب الرحلات أهمية كبيرة في رصيد الحياة الثقافية والاجتماعية للشعوب وتصوير

¹ حسن نصار، أدب الرحلة، ص 132.

² المرجع نفسه: ص 132.

حضارتهم وطرق عيشهم "لذا كان للرحلات قيمة كبيرة، من حيث أنها أكثر المدارس تثقيفا للإنسان، وإثراء لفكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين"¹.

وكما عودنا الرحالة عبد الرحمان بن خلدون (ت 808 هـ) في حرصه على الجانب التعليمي التربوي مؤكدا على أهمية الرحلات في إثراء معارف المتعلم وتتميتها فيقول: "الرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بقاء المشايخ ومباشرة الرجال"².

يرى الشيخ حسين العطار في الرحلة فرصة لمشاهدة عجائب الدنيا ومحكا أساسيا لتجارب الإنسان ومعلوماته فيقول: "السفر مرآة الأعاجيب وقسطاس التجارب"³.

ويركز هذا الأخير على إفادتها في النهل من تجارب الآخر ومعارفه. ويرجع محمد الخضر الفضل لكتب الرحلة، "في أنها حفظت لنا جانباً عظيماً من التاريخ، كما ساهمت في تطوير الصلات بين الشعوب، وحصول التعارف بينها"⁴.

إذ أن الرحالة المجتهد لا ينزل بوطن إلا التقى بطائفة من فضلائه والشأن أن يصف لهم بعض النواحي من حياة قومه العلمية والاجتماعية، ثم إذا عاد إلى وطنه وصف لهم حال الأوطان التي نزل بها، فيكون كل من الشعوب التي رحل منها أو نزل بها على خبرة من حال الشعوب الأخرى.

كما تقدم لنا الكتابة الرحلية خدمة لفن الرحلة، عن طريق التوزيع في الكتابة وتخييب التراث السردي واغتناؤه وتوثيق الصلة بين أشكال مختلفة أدبية، تهدف جميعها إلى سرد التجربة الذاتية، وتعميق المعرفة بالعالم والآخر.

¹ حسني حسين محمود: أدب الرحلة عند العرب، ص 19.

² عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 2004، ص 560.

³ سميرة أنساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دار الهدى، الجزائر، د ط، 2009، ص 22.

⁴ محمد لخضر حسني: الرحلات، تح علي الرضا التونسي، المطبعة التعاونية، دمشق، د ط، 1976، ص 17.

نستخلص أن الرحلة وسيلة هامة لاكتشاف العالم والإنسان وتوسيع لخبرات الرحالة ومعارفهم، فالسفر تعليم للصغير وخبرة للكبير. وكتب الرحلة كتب جامعة ملمة بالخبرات والمعارف كما هي تدوين لتاريخ الشعوب وأثارهم في طابع تداولي تبادلي.

نستخلص من خلال هذا المدخل أن الرحلة واحدة رغم اختلاف الدوافع والأهداف دينية كانت أو تجارية أو علمية، فهي ذلك الانتقال من مكان لآخر فيكون الشخص محمّل بثقافة ليصطدم بأخرى فيحدث شيء من التلاقح وتتولد ثقافة تعبر عن الانطباعات التي تشكلت لدى الرحالة في سفرته تلك فيكون بذلك مفيدا ومستفيدا، حيث أن الرحالة يقوم بالوصف وجلب المعارف والعلوم. فالارتحال والانتقال لم يكن الهدف الرئيسي بقدر ما هو نقل للمعارف والتزود بها والتعرف على ثقافات الغير، فهي مصدر لوصف الثقافات الإنسانية المختلفة.

الفصل الثاني

1. التعريف بالأمر رودولف

2. دوافع الرحلة

3. خط سير الرحلة

4. صورة البيئة الاجتماعية

5. صورة البيئة الطبيعية

6. صورة البيئة الثقافية

1. التعريف بالأمير رودولف:

ولد الأمير رودولف **roudolf** في 21 أغسطس 1858م، من فرانس جوزيف الأول والملكة ايليزابيث من بافاريا، كان أرشيدوقا نمساويا وولي عهد الإمبراطورية النمساوية المجرية منذ ولادته، تزوج سنة 1880م من الأميرة ستيفاني من بلجيكا وكان عمره اثنين وعشرين سنة، توفي 30 يناير 1889م عن عمر يناهز الثلاثين عاما¹.

مأساة ماير لنج:

في عام 1880 تزوج ولي العهد "رودولف" ابن إمبراطور النمسا من ستيفاني ابنة ملك بلجيكا وكان عمره اثنين وعشرين سنة، لأغراض ومصالح سياسية كعادة ملوك أوروبا في ذلك الوقت.

في إحدى الأيام شاهد رودولف في الأوبرا فتاة وكان عمرها سبعة عشرة عاما فأحبها وسأل عن هويتها، فاخبروه أنها فتاة يونانية من عائلة نبيلة هي البارونة ماري فتسيرا، بعد بضعة أيام شاعت الصدف أن يراها مرة أخرى فبادرها بالتحية وفطن الأمير إلى أنها تبادله نفس المشاعر فتطورت العلاقة بينهما.

لم تظل علاقته بماري فتسيرا مخفية عن ذويه أكثر من بضعة أيام، فقالت هي لأهلها أنها تحب رودولف وتتوي أن تتزوجه وتعيش معه، وقال هو لأبيه انه لم يعد يطيق العيش مع زوجته ويود لو تم الاتفاق بينهما على الطلاق لكي يتزوج الفتاة التي أحبها، فثار والده وقال أن أسرة هبسبورج لن تسمح بأن يتزوج أميرها وولي عهدا فتاة من أسرة لا تتفق درجة نبليها وشرفها مع مقام أقدم أسرة ملكية في أوروبا، وهدده بان يعمد إلى تأديبه بالطريقة التي يراها، فأرغمه على

¹ الموقع الالكتروني: wayhack machine، 4 مارس 2016.

الإبقاء على زوجته كما هو وعدم إحداث فضيحة في الأسرة تفقدها الاحترام عند الشعوب الأخرى.¹

لم يقتنع رودولف بما قاله أبوه، بل طلب من البابا أن يوافق على إلغاء زواجه لكن البابا رفض ذلك، لان الكنيسة كما هو معروف قد حرمت الطلاق لأسباب سياسية واجتماعية وعاد أبوه يخيره بين أن يهجر عشيقته الصبية أو أن يرحل عن البلاد.

حدد رودولف موعدا لحبيبته ماري في قصر مايرلنج الذي يبعد عن فيينا مسافة أربعين كيلو مترا، وفي الموعد المحدد دخل الأمير إلى القصر ودخلت معه ماري فتي سرا، دخل رودولف الغرفة المعدة له ولعشيقتة، وفي صباح اليوم التالي "الأربعاء 30 يناير 1889" توجه الخادم إلى باب حجرة سيده الأمير ليقوضه، فطرق الباب وفتحته الأمير وقال للخادم أن يذهب ويعد العربات للرحيل، وعندما تأخر في النزول صعد أصدقائه إلى حجرته وطرقوا الباب، فإذا به مقفل من الداخل وقرروا أن يقتحموه ودخلوا وكانت الفاجعة.... جثة ماري فتي سرا ملقاة على السرير وبجوارها جثة الأمير رودولف، ولم يكن في جثة الفتاة آثار للجراح، وكان الدم قد سال بغزارة من فم الأمير وكانت بندقية بالقرب منه.

نقل الشهود الخبر إلى أهل رودولف، وأعلن في اليوم التالي أن ولي العهد رودولف قد مات في قصر مايرلنج، ولم يعرف بعد إلى حد الآن حقيقة ما حدث في تلك الليلة.

هل خنق الأمير عشيقته ثم انتحر؟ هل قتلته هي ثم قتلت نفسها؟ أم هناك جريمة اقترفت في ذلك القصر، جريمة قضت بها السياسة ولا تزال من أسرار التاريخ، وقد ظلت كذلك إلى يومنا هذا...

¹ المجلة الشاملة، 24 جويلية 2017.

2.دوافع الرحلة :

لكل رحلة دافع ما يحرك الرحالة ويدفعه إلى استكشاف الآخر ومعرفة ثقافته وحضارته وقد يكون الدافع مصرحا به أو خاصا يُمكن التعرف عليه من خلال نص الرحلة.

توغل المستعمر الأوروبي ونال حصة من الأراضي في الخليج والشرق، ولم يكن من نصيب النمسا إلاّ قضمات من بلاد البلقان. فطمعت وطمحت في التوسع في المناطق المجاورة كبيت المقدس.

وكان لها أن فرضت هيمنتها بحجة حماية الكاثوليك فمنحت لهم امتيازات بعد عقد معاهدة الصلح مع الدولة العثمانية (1787-1807) ولحرصها على تطبيق بنود هذه المعاهدة كان حكام النمسا يقبلون على زيارة القدس "بحجة الحج". وينطلقون في زيارتهم بدءا بمصر "بحجة الصيد" وذلك لمكانتها التاريخية فهي باب الحرمين الشريفين، ولعل أهم الزيارات النمساوية زيارة الارشودوك ماكسيمان سنة 1855م، والتي كانت بمثابة مذكرات تفقدية واستكشافية لمحطات رحلته التي شكلت عامل السحر لمن تبعه، ومن بينهم الملك رودولف الذي تأثر في الغالب بوالده الإمبراطور جوزيف الذي لقب نفسه بحامي بيت المقدس وحامي الكاثوليك فيه. وربما كانت رحلة الأمير تلبية واستجابة لرغبة والده الذي أراد منه أن يكون ولي عهد ملم بأمور المملكة النمساوية في بلاد الشرق.

كما قد يكون اهتمامه انصب على وصف الظواهر الجغرافية والحياة الحيوانية والنباتية ووصف الآثار والتعرض لتاريخ المدن والتغني بجمال طبيعة الشرق، وشغفه بما تحتويه هذه الأرض من تاريخ وآثار وعادات وتقاليد.

3. خط سير الرحلة

انطلقت رحلة الأمير رودولف **roudolf** صاحب السمو الإمبراطوري والملكي وهو أحد الأمراء المهمين من آل هسبرج برحلته في عهد الخديوي إسماعيل، وكان ذلك يوم التاسع من شهر فبراير كما يوضح في قوله: "وفي التاسع من شهر فبراير تجمعت مجموعتنا المسافرة في المحطة الجنوبية في فيينا **Vienna** في مساء يوم شتاء قارص البرودة، فالجليد يغطي الطرقات، وجليد متساقط ورقائق ثلج غطت كل شيء"¹.

واصل الأمير رودولف طريقه رغم الأجواء الشتوية، ومر بالعديد من البلدان ليصل إلى مصر، وكان في كل مرة ينزل بمكان يقدم له وصف عام ثم يذكر تفاصيل رحلته.

التقى الرحالة بمجموعة من أصدقائه عند وصوله إلى ميناء **ميرامار** ومن بينهم كونت **كرونسي Chroncky** الذي سبق أن صاحبه إلى إسبانيا، وهاهن **Hahn** وساكس **Sacks** بالإضافة إلى **رزنيك Resnicek** والدكتور **هيرش Hirsch** الذي تعرف عليه في رحلة سابقة إلى **كورفو Corfou** مر الرحالة بمنطقة **كارست Karst** متوجها بعدها إلى جبال الألب في وسط أوروبا "ومكنتنا السماء الصافية من رؤية منظر على البعد للمنطقة من كرست إلى جبال الألب"² مرورا بجزر اليونان الجميلة.

عبر الرحالة في طريقه بجزيرة **ليسا Lissa**، فهي جزيرة قاحلة ذات جرف شديدة الانحدار وتلال متشابهة لا تباين بينها.

¹ الأمير رودولف: رحلة الأمير رودولف إلى الشرق، تر عبد الرحمان عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ج1، د ط، 1995، ص 31.

² المرجع نفسه: ص 37.

خلال اليوم الثاني عشر من شهر فبراير واصل رودولف رفقة أصدقائه إلى جبال ألبانيا يصفها في قوله: "وأهدانا اليوم الثاني عشر من شهر فبراير عند الشروق بحرا أكثر هدوءا، ولما أسرعنا إلى سطح السفينة متأملين بمنظرها، وقمم جبالها التي كستها ثلوج كثيرة، التي تراها تشكل طبقات كالشرفات وتجذب البصر بوديائها الصخرية الجميلة، وتثير جرفها الحادثة التي تهبط شامخة حتى البحر"¹

بعدها مرت سفينة "ميرامار" بمجموعة من جزر أوروبا من بينها جزيرة وكرفو Corfou وجزر مرليرا Merlera وجزر فانو Fano والتي قال عنها بأنها أجمل الممرات "فلقد سارت سفينة ميرامار بالضرب من ساحل المدينة حيث كان يتحتم علينا التوقف لبعض ساعات للتزود بالفحم، وكورفو التي اعتادت أن تكون هادئة ممتعة في الهدوء بدت الآن وكأنها تلبس لبوس العرب"².

توغل الرحالة ناحية الساحل الإفريقي شيئا فشيئا، وهنا بحث في الأفق بعض مآذن الإسكندرية الشامخة فحياها بالصياح والتهليل، وكان فرحا عندما رأى الساحل المستوي لمصر المقدسة Sacre da Egypt. مندهشا بالمنارات وبعض الطواحين الهوائية.

بعدها توجه إلى سواحل مصر الشمالية منبها بموجات التلال الرملية والكتبان الصفراء التي شكلتها الرياح والمباني الضخمة، فمر بأسوان واصفا الحياة الشرقية بكل أبعادها.

¹ المرجع السابق: ص 36.

² المرجع نفسه: ص 38.

وحين عودته من أسوان مكث في القاهرة فترة أخرى ثم توجه إلى بور سعيد ليجد نفسه فوق أرض تاريخية التي تنعم شوارعها بالحياة والنشاط، فالناس لهم منظر الجنس المختلط بشكل واضح يفوق الوصف، بعدها قطع قناة السويس مصورا مناظرها وظواهرها الجغرافية.

غير أن الرحالة لم يكتفي بوصف الشوارع والمناظر والظواهر الجغرافية فقط، بل طغى حضور الصحراء على تفاصيل هذه الرحلة الشرقية، وهو أمر يكاد يكون تقليدا لدى جميع الرحالة الذين زاروا البيئة الشرقية، فجدده صور الصحراء بسحر جمالها وطبيعتها الخلابة وهوائها المنعش.

فبعد مدة يترك صحراء مصر ويعود إلى القاهرة: ".....كما يمكن أن نستغرق عدة ساعات للوصول إلى القاهرة فقد عدنا للأرض الصلبة الزراعية"¹.

غادر الرحالة في اليوم التالي إلى القاهرة ليذهب إلى الصيد: "وكان علينا أن نغادر القاهرة في اليوم التالي لنذهب كفريق صيد إلى مديرية الغيوم"².

عند إتمامه لرحلة الصيد توجه في رحلة إلى الصعيد واصفا ما استرعى نظره من أبراج الحيوانات المبنية على الطراز الغربي.

يعرج الرحالة بعد أن ترك منطقة الصعيد بالخط الحديدي الذي يقترب من النيل فيتركه مشرقا صوب خط أسيوط "وفي الساعة العاشرة صباحا دار قطارنا تاركا الخط الحديدي الرئيسي الذي يتجمع مجرى النيل إلى أسيوط"³.

¹ الأمير رودولف: رحلة الأمير رودولف إلى الشرق، ص 10.

² المرجع نفسه: ص 106.

³ المرجع نفسه: ص 109.

ومن ثم ينتقل إلى الخط الحديدي متجها غربا بين صحراء جدباء قاحلة وهو أكثر ما نال إعجابه "إن الرحلة في هذه المنطقة الجرداء رائعة جدا في تفردا وآثارها المدهشة"¹.

ثم يعود إلى جزيرة قارون **Bezine Karun**، التي تجول كثيرا في أنحائها والتي اصطاد فيها الكثير من الطيور التي تشتهر بها تلك الجزيرة.

يغادر الرحالة الجزيرة عائدا إلى واد النيل "وبعد وداع حار ركبنا الباخرة متجهين إلى أسبوط الهدف التالي لرحلتنا النيلية..."².

فقد استغرقت رحلة الأمير رودولف في طريقه إلى مصر ثمانية أيام، قطع فيها مصر من أدناها إلى أقصاها مبديا انبهارا بآثارها المقدسة على حد تعبيره، فكانت رحلته ممتعة وغاصة بالمعاني والتلميحات ذات الدلالة.

4. صورة البيئة الاجتماعية:

أخذنا الكاتب في وصفه جملة توضح أهم مظاهر الحياة الاجتماعية بأدق تفاصيلها، مصورا علاقات الأفراد ببعضهم البعض وعلاقاتهم بالمكان، إلا أنه لم يغفل عن المظاهر الثقافية المميزة لهم.

رأى الأمير رودولف أن أهل مصر في معظمهم من عرق عربي، حيث رأى في ملامحهم صفات سامية، ووجدتهم عنصرا تسري في عروقه الدماء العربية على نحو أو آخر. فنقل صورة عن ملامح المجتمع الشرقي فيقول: "العربي الحقيقي داكن اللون، وله ملامح جميلة ونبيلة، وشكله رقيق لكنه مفعم بالرجولة"³.

¹ الأمير رودولف: رحلة الأمير رودولف إلى الشرق: ص 109.

² المرجع نفسه: ص 139.

³ المرجع السابق ص 10.

فهنا ينقل صورة كاملة عن أوصاف العربي وقد ميزه عن غيره خلال قوله:
"العربي هو أرقى من اليهودي بكل المقاييس إلا أنه يشبهه بشكل واضح"¹.

أي أنه يرى بأن العربي هو ذو جنس سامي إلا أنه يشبه اليهودي، فهم
"بربر أصلاء"². لهم مظهر يوحى بصلابة أشد، واغلبهم طوال القامة، يتسمون
بالنحول وملامحهم أقل نبلا وجمالا، فالدماء الزنجية واضحة فيهم، فبعضهم
بيض وبعضهم سود تماما.

لم يرى الأمير رودولف في أقباط مصر أي اختلاف عرقي يفرق بينهم
وبين المصريين الآخرين، فهم من الخلطة نفسها، والعبارة الدالة على ذلك هي:
"...ومن الناحية العرقية فإن قبط مصر ينتمون للعرق نفسه الذي ينتمي إليه
المصريون الآخرون"³.

بعدها تطرق إلى وصف أصحاب المناطق الصحراوية يقول: "ألوانهم
داكنة ومظهرهم الخارجي يوحى بصلابة أشد مما عليه سكان النيل الأدنى
وغالبيتهم طوال القامة ويتسمون بالنحول، إن كانت ملامحهم أقل نبلا وجمالا
من ملامح القبائل البدوية في الشمال، فالدماء الزنجية واضحة فيهم، وبعضهم
أسود تماما وله شعر مففل، قد يحسبهم المرء من البربر"⁴.

وهو لا ينفي الامتزاج العرقي الكامل للشعب المصري، ويرى أن التراث
الثقافي والعادات والتقاليد وما إلى ذلك يورث تماما كما تورث الصفات الوراثية.

¹ المرجع السابق: ص 10.

² المرجع نفسه: ص 11.

³ المرجع نفسه: ص 12.

⁴ المرجع نفسه: ص 112.

1.4. وصف الحياة التجارية:

وصف الأمير رودولف العمال الزراعيين بأنهم مختلفون عن غيرهم من الفلاحين في بُنيَتهم الجسمية، فهم يتسمون بالضخامة، فقد لاحظ فيهم استمرارا للمصريين القدماء ورأى في ملامحهم سمات سامية، ووجدهم عنصر تسري في عروقهم الدماء العربية الأصيلة.

كما نقل صورة كاملة عن أوصاف التاجر الشرقي، حيث رأى فيهم تجارا عربا ووصفهم بأنهم ساميون ماكرون يخدعون ويغشون زبائنهم.

وأمتع نفسه بملاحظة أساليب الحلاقين الشرقيين وأعجب بطريقة عملهم "ويقوم الحلاقون بحركات رشيقة أثناء تزيين زبائنهم وقص شعورهم وغسل رؤوسهم وتقطيرهم بعطر زيت الورد وغيره من الدهانات العطرية"¹.

2.4. وصف المدينة:

بعد وصف الأمير رودولف للحياة التجارية لفت انتباهه الجانب الحيوي العربي وما يتخلله من نشاطات متعددة داخل الأسواق، مدققا في وصفها وذلك مما أثارت من إعجاب في نفسه فيقول: "لا يستطيع أن يصف أسواق القاهرة وصفا مفعما بالحياة زاخرا بالألوان إلا كاتب محترف عرف الرحلات وجاب الأقطار، فوصف هذه الأسواق ليس مهمة سهلة"².

فهنا يصف الأسواق واكتظاظها بالجائلين وصياح الباعة بالإضافة إلى هذا يصف أصوات السَّيَّاس وهم يسيرون أمام العربات التي تجرها الدواب والتي تثير إزعاجه: "والأصوات المزعجة تؤذي الأذان الأوروبية وتكاد تصيبهم بالصم"³.

¹ المرجع السابق: ص 80.

² المرجع نفسه: ص 83.

³ المرجع نفسه: ص 83.

مندهشا أمام كل هذه المناظر التي تصافح عيون الغرباء في كل شبر من هاته الأسواق، واصفا أرققتها الضيقة الطويلة، ونوع المباني وكيفية تصميمها، مسميا كل سوق باسمه (كشارع الموسكي وسوق الحمزاوي) فهاته الأسماء مأخوذة من الوسط الشعبي المصري.

مضيفا إلى الأسواق (سوق المسيحيين، وسوق الفحامين) وهي أسواق زاخرة ومملوءة بالبضائع التونسية والجزائرية، مصورا في هذا اللباس الفضفاض للباعة وطريقة جلوسهم، وقد شعر بالقرف والاشمئزاز من الحشرات التي تملأ الشوارع وتُحلق فوق الشرقيين.

وأكثر ما جذب انتباهه الشوارع والطرق التي سلكها فقد وجد فيها ما يذكره بوطنه، من خلال قوله: "فقد وجدت ما يذكرني بمناظر في وطني والأحياء المجاورة لكل المدن الشرقية، وكذلك الموجودة في أوروبا، لها الطابع نفسه"¹.

انبهر الأمير رودولف أثناء رحلته بكثرة العروض المشوقة، ومن بين هذه العروض عرض ركوب الحيوانات والتنقل عليها فيقول: "...و مواكب عربات الأثرياء والرجال على صهوات الخيل والنساء يركبن الجمال في هوداج، وجماعات طيور النورس"². فهو عرض مفعم بالحياة ومشوق للحياة البشرية.

كما أعجب بالعربات والمركبات التي تسير في صفوف، واصفا إياها بالعربات أو المركبات الجميلة، فكل من يركب عليها يلبس طربوشا ويتنسمون بنسائم المساء الباردة.

فقد قدم الأمير رودولف وصفا دقيقا أفاد في إلقاء الضوء على جوانب مختلفة ومهمة في مختلف مناطق العمران في الشرق العربي "مصر".

¹ المرجع السابق: ص 63.

² المرجع نفسه: ص 67.

3.4. وصف المرأة:

أبدى الرحالة ملاحظات عابرة عن النساء، وفي مصر لم تستعر النساء كثيرا انتباهه لكنه توقف أمام بعض الرقاصات الشعبية وكان رأيها طيبا.

فنجده توقف كثيرا أمام جمال نساء الشرق، ولم يغفهنّ من التمتع في مفاتنتهن يقول: "لم أرى أبدا نساء أجمل من نسائهم"¹.

فوصفهم بعاصفة من الجمال، وأنهن نماذج من العذراء مريم النبيلة، فهو لم يغض بصره عنهن حتى وهن يصلين ويتعبذن: "وركعت بعض النسوة الجميلات جمالا مدهشا على الصخرة الجرداء، لقد كن متألقات تألقا غريبا في ضوء المصابيح الباهتة"².

فقد رأى فيهن جمالا ساحرا، وزاد تعجبه بتمسك المرأة بأنوثتها ودينها، فهو لم يجد أي طبقة من المومسات أو نساء المتعة كما التي عرفها في أوروبا، كما وصفهن بالأميرات ذوات العيون السوداء المتألقة، والملامح الجميلة والحوارب المزججة والرموش الطويلة، فهن في نظره نساء خارقات الجمال.

بالإضافة إلى حديثه عن المرأة القبطية وطريقة لباسها فيقول: "يرتدين نسوة الأقباط الملابس الشرقية القديمة مثل المسيحيات"³.

فقد وجدهن نسوة محجبات بحجاب أبيض مثلهم في ذلك مثل المسلمات.

¹ الأمير رودولف: رحلة الأمير رودولف إلى الشرق، ص 65.

² المرجع نفسه: ص 51.

³ المرجع نفسه: ص 75.

4.4. طريقة التعليم:

ومن أكثر المشاهد الجديرة بالملاحظة التي نالت إعجابه هو طريقة التعليم، فقد رأى فيه كل أجناس البشر من الزوج السود إلى الأصفر الشحابين فهذا التنوع الشديد في الألوان والأزياء يبهج عين الرائي، إلا أنه تعجب وسخر من المعلمين وطريقة تعليمهم: "ويجلس المشايخ على مقاعد مرتفعة في سقائف صغيرة ومنظرهم مضحك للغاية، فمعظمهم طاعون في السن وغالبهم من أصحاب العاهات.... وهم يصرخون بصوت عال أثناء إلقاء محاضراتهم على سامعيهم، ويومئون ويشيرون بإشارات لم أراها أسخف منها"¹.

كما ارتبك من الأمور التي تجري على هذا النحو في مدارس ذات الشهرة العريضة في العالم كله.

5. صورة البيئة الطبيعية:

انبهر رودولف بطبيعة مصر التي فاقت تصوراته ويتضح ذلك من خلال قوله: "لقد سار بنا القطار على طول الكثبان الرملية، كانت تفصل البحيرات عن البحر الرملية... ويرى المرء كثباناً من رمال الصحراء الصفراء، وتناثرت على طول هذه الكثبان خيام الفجر والبدو... وأكواخ أقامها العرب"².

وأكثر ما نال إعجابه البيئة التي تبدوا وكأنها تدعوا للحياة بفعل سحرها، فقد عبر عن إعجابه بمقولة نابليون: "إذا أتت الصحراء للنيل عم الخراب، أما إذا ذهب النيل للصحراء عم الرخاء"³. وهذا ما أدى إلى ازدهار الخضرة ازدهاراً ثرياً قلما يوجد في أي مكان آخر.

¹ المرجع السابق: ص 81.

² المرجع: نفسه ص 81.

³ المرجع نفسه: ص 99.

كما اندهش بالفواكه الموسمية التي تثمر في الصحراء: "لقد أثمرت أشجار الليمون والبرتقال إلى جانب النخيل السامقات فجعلت المكان يبدو كمتنزه"¹.

فالصحراء تبدوا للرحالة جميلة وأنها صورة للراحة كما هي ثرية بألوانها.

كذلك نجد الطبيعة الخلابة سحرت نظر رودولف، فهي ذات بهاء وفخامة، فروائح الأزهار تملأ الهواء، والزهور المتفتحة اليانعة تسحر عيون الأجانب إليها.

ويرى أن طبيعة الشرق ليست بعيدة عن الطبيعة في أوروبا، وذلك من خلال حديثه: "فقد جذب انتباهي الطريق الذي سلكناه، فقد وجدت فيه ما يذكرني بوطني، والأحياء المجاورة مثل المدن الشرقية وكذلك تلك الموجودة في شرق أوروبا، لها طابع نفسه"².

كما قدم وصفا رائعا للأراضي الزراعية على أنها أراضي كثيفة الزرع، مندهشا بحقول القمح الواسعة وغابات من أشجار النخيل وأشجار القطن، والقنوات العميقة والجسور العالية، وتناثر النخيل هنا وهناك والبساتين الكثيفة فلقد كانت صورة في غاية من الثراء تشكيلا وألوانا.

كما صور لنا السماء بأحلى وأحسن حلة فيقول: "وكانت السماء مزدانة بألوان خضبة وثرية، برتقالي وأحمر وأزرق، وكل لون منها واضح، وتسبح في نور ذهبي"³.

وقال واصفا الشمس "كانت الشمس تغرب، وظهر قرصا واهنا بين الهواء المعبئ بالأتربة والسخونة..⁴

¹ المرجع السابق: ص 62.

² المرجع نفسه: ص 64.

³ المرجع نفسه: ص 63.

⁴ المرجع نفسه: ص 64.

أي أن المناظر الطبيعية كالشمس والبحر والسهول نالت إعجابه وأدهشته، وقد خلّفت في نفسه آثار طيبة، مشيراً إلى الجبال التي تسحر الناظرين بجمالها، وروعة وجمال الصحراء.

وتحدث عن البساتين التي تسلب عقول الناظرين بروائحها العطرة، وهوائها المنعش الدافئ معبراً في هذا عن السحر الذي تركته في نفسه من فتنة وجاذبية وعن ما سيشعر به زائرها بعد مغادرته لهذا المكان الفائق الجمال.

قدم الأمير **رودولف** عن طبيعة الشرق صورة ساحرة فاتنة من خلال مناظرها وصحرائها وجبالها وبساتينها الخلابة وهي طبيعة أسرت كل الرحالة، فقد صورها في صورة وكأننا في حلم.

1.5. وصف الحياة البرية:

غطت صورة الحياة الحيوانية شطرا كبيرا في هذه الرحلة لسبب بسيط وهو أن الأمير رودولف اتخذ هواية الصيد وسيلة للاستمتاع أثناء رحلته التي قام بها إلى الشرق.

فلقد أعطى لنا صورة شاملة عن الطيور والحيوانات البرية الموجودة آنذاك، فهو حدثنا عن حوالي خمسين طيرا، منها النسور وطيور البلشون بأنواعه (البلشون الأسود، البلشون الأرجواني) كما صور لنا طيور الكراكي، وهي طيور طويلة الساق.

بالإضافة إلى طيور الوروار (وهو طير من الجواثم الملتصقة الأصابع) وطيور الحجل **Partividge**، والصقور الحوامة **Burgard** والبجع وطيور المغطاس **Diver**.

كما وصف نسور النهر، وطيور الفراء السوداء **Black Coote**. وقد لفت نظره كثيرا من طيور السمان، وطيور التغلق **Rair** (وهي طيور مائية قصيرة الجناحين وطويلة الساق).

ونال إعجابه أيضا طائر البشروس وزمار الرمل **Sand Pipres** (طائر طويل الساق النقار).

وانبهر بكثرة طيور أبو ملعقة **Spoonbills** (وهي طيور تعيش في الأنهار) ومن هنا تضح مدى ثراء مصر في مجال الطيور.

نقل الرحالة أثناء رحلته النيلية في الصعيد صورة دقيقة من خلال وصفه لشعالب الصحراء والسحالي، والنموس حول الغيوم، كما صور حيوانات ابن آوى

Jakal (هو من صفة الكليبات) وحيوان الوشق **Lynex** وكانت له تجربة في صيد الأرانب البرية والضباع والذئاب والتي وصفها بالوسامة.

وبعد كل هذا يتحدث عن الصيد واصفا في هذا طريقه، وأنواع الحيوانات التي يصادفها ويصطادها، مشيرا في ذلك إلى حرارة الصحراء وهواءها الذي يلهب الجلود، فقد وصفها وكأنها أمامنا.

امتلكت مصر منذ أقدم العصور مقومات البيئة الطبيعية والعناصر الضرورية لتأسيس حضارة محلية عريقة وهذه العناصر البيئية قد أثرت بدورها في نشأة الحضارة المصرية القديمة وساهمت في نموها بفضل مجهودات الإنسان المصري القديم، فهي طبيعة لها تأثير واضح على سكانها والفنانين والرحالين فينبغي على المرء أن يدرك السحر لهذه البلاد السعيدة ليفهم جاذبيتها التي تفوق الوصف وفنتتها التي لا حدود لها والشوق الشديد لكل من عاش فيها ليعود إليها.

ففي هذه البلاد فقط ولا سواها يمكن أن يكون مهد البشرية، حيث الشرق المزهر الباسم والصيف غير الكئيب لا في بلاد الشمال الباردة الجرداء العابسة.

6. صورة البيئة الثقافية

أعجب الأمير رودولف خلال رحلته بالآثار والعمران والمساجد وتصاميمها المذهلة التي بنيت على الطراز العربي الأصيل، واصفا البيوت وطريقة بناؤها، فهي بيوت طينية أغلبها مهدم.

كما انبهر بالأهرامات التي تصافح عيون كل غريب، والتي برز فيها براعة وحذاقة الإنسان المصري من مهارة وفن، وهاته الأهرام هي أهرامات الجيزة التي كانت عبارة عن قبور للأسرات الحاكمة مشيرا إلى عظمة دلالتها، مسميا كلا باسمه، منهم أهرامات خوفو وخفرع ومقرع، وعبر في ذلك عن اندهاشه وانجذابه نحو هاته الأهرامات، معبرا عن الأثر الذي تركته في نفسه بقوله: "أنها اقرب ما تكون جبال صناعية عظيمة، تشيدها الإنسان أكثر من كونها أثر معماريا"¹.

وبعدها ينتقل إلى وصف الأهرامات بعد الغروب بوصف أكثر من رائع من خلال قوله: "وسبحت المراثيات في بحر من الضياء البهية وتألفت أحجار الأهرام الرمادية كالذهب"².

فقد بنيت هاته الأهرامات لدفن الفراعنة فيها، فهي عبارة عن قبور مبنية من الحجر الجيري فليس هناك في العالم مقابر تماثل الأهرامات العظيمة.

بالإضافة إلى وصفه لمتحف بولاق، معرفا به بأنه من إحدى أثرى الآثار المصرية وأكثرها شهرة متطرقا في وصفه إلى فساحة مبناه وما يحويه من آثار قيمة تعود لقصر الفراعنة.

¹ الأمير رودولف: رحلة الأمير رودولف إلى الشرق، ص 88.

² المرجع نفسه: ص 88.

مكملا سيره واصفا في ذلك سحر الصحراء وشساعتها، مصادفا مدينة تسمى مدينة الشمس المشهورة بسبب قدمها: "مدينة تقع على حافة الصحراء وتختلط رمالها البرتقالية بأتربة الحقول الداكنة"¹.

بعدها يصف القبور في المناطق الصحراوية بأنها صخرية شاسعة مليئة بقبور مختلفة الأشكال، فقد اشتهر المصريون القدامى بفن المقابر، والجداريات حيث اعتقدوا أن الحياة تستمر بعد الموت وتفننوا في المقابر ليتمتع الميت بالرفاهية بعد الموت.

مشيرا بعد هذا إلى مسجد قايد باي، واصفا بناؤه وزخارفه بالإضافة إلى ما ذكره الرحالة عن المصانع، ومن بينها مصنع السكر واصفا إياه في قوله: "أن مصنع الغيوم مجرد مبنى بسيط يعتريه الإهمال إلى حد ما..."².

كما زدنا بوصف أهم الجزر، وأهمها جزيرة قارون التي نالت إعجابه قائلا: "كان مخروطها الصخري يقف شامخا في حاجة إلى ريشة فنان بصورة خلفية تشكلها سماء زرقاء داكنة"³.

كما وصف الخيام في المناطق الصحراوية بأنها خيام متحركة مصنوعة من خامات جيدة مادحا في هذا الطباخ العربي وبراعته في إعداد الطعام التقليدي.

بالإضافة إلى ما ذكره رودولف من عمران وآثار فقد زدنا أيضا بوصفه للباس التقليدي العربي الأصلي وهو ما نال إعجابه، فوصفهم بأنهم

¹ المرجع السابق: ص 90.

² المرجع نفسه: ص 110.

³ المرجع نفسه: ص 118.

يلبسون ملابس ملونة، وبرانيس بيضاء زاهية، ويضعون فوق رؤوسهم طرابيش ويحملون في أيديهم عصي طويلة.

وأعجب بالنساء اللواتي تلبسن ملابس طيات تدل على الثراء، وفوق رؤوسهن زينات ذات طابع قديم.

فقد لاحظ لباسهم مغاير عن لباس الناس الذي رأهم من قبل فهو لباس يعبر عن ثقافة ذلك المجتمع فيقول: "وقد دهشنا غاية الدهشة من أبناء آسيا الصغرى بسبب ملابسهم الزاهية ألوانها فلقد كانوا مختلفين تماما ..."¹.

وهذا يعني أن لباسهم خاص وهو ما يميزه عن غيره من الشعوب فهو لباس مثير يمتاز بالبساطة والطابع العربي الأصيل.

منتقلا بعد هذا إلى وصف اللباس التقليدي للفلاحين ورآه مختلف عن لباس الإنسان العادي فيقول: "لقد كان عدد كبير من الفلاحين البؤساء يلبسون البسة متواضعة يلبس عباءة طويلة ورداء أزرق، ويحمل في يده كرابجا من جلد وحيد القرن".

أراد الرحالة أن يبين لنا وسائل النقل من خلال حديثه: "... يسرن إلى جوار قوافل الجمال الفخورة... وينتقلون سواء سائرين على أقدامهم أم يمتطون خيولا، أما البدويات فتركبن جمالا وبغالا محملة بالبضائع".

انبهر الأمير رودولف أثناء رحلته بكثرة العروض المشوقة، ومن بين هذه العروض عرض ركوب الحيوانات والتقل عليها فيقول: "... ومواكب عربات

¹ المرجع السابق: ص 76.

الأثرياء والرجال على صهوات الخيل والنساء يركبن الجمال في هواج،
وجماعات طيور النورس"¹. فهو عرض مفعم بالحياة ومشوق للحياة البشرية.

كما انجذب الرحالة خلال رحلته إلى صورة الكنائس التي يرتادها كثير من
المسيحيين، مشيرا إلى فئة من سكان مصر وهم الأقباط واصفا حياتهم ومدى
تشبثهم بعادات وتقاليدهم القدسية والعقائدية، مصورا هيئة لباسهم ولون بشرتهم.

ويضيف رودولف مصورا الطرق التي كانت مشقوفة بالحصار والسُجّاد
لحجب الشمس والمنازل المبنية من الطين، مستمتعا برؤيته لهذه البنايات وطريقة
بنائها متذوقا ذلك الجمال الذي سحر عيناه "...إنه مزيج مدهش يحلوا للمرء
النظر إليه لا شيء يتسم بالتناسق، ومع هذا فكل يستحق التأمل بل ويستحق
فنان بريشته، فحتى الخرائب تعطي للصورة تأثيرا ينم عن خصائص الأصالة
الشرقية."²

مشيرا بعد هذا إلى مسجد الحسنين، ولقد أعجب به لجماله وكبره متوقفا
في وصفه بالتعريف بهذا المسجد وهو أنه بني لذكرى الحسن والحسين.

وبعدها بدأ يصف طريقة دخولهم وذلك بخلع نعالهم مشيرا في هذا إلى
جمال المبنى من الداخل، واصفا في هذا كيفية جلوس حفظة القرآن وهم يجلسون
حلقات، مصورا لباسهم بأنه من النوع الباهظ منتقلا من هذا إلى وصف أفرشة
المسجد بأنها سجاجيد فاخرة متميزة ويعج إلى حفظة القرآن بقوله أنهم يقرؤون
التفسير بصوت منخفض من كتب قديمة وشيخ كبير يقوم بشرح ما استعصي
فهمه عليهم من الفقرات.

¹ المرجع السابق: ص 67.

² المرجع: نفسه ص 76.

بعدها انتقل إلى تقديم صورة ينقل فيها طريقة تزيين محراب المساجد بالمخمل الأخضر وهو يدل على اتجاه الكعبة، وكيف تتدلى الثريات الضخمة من القبة، ويصف أيضا الساحة المجاورة للمسجد وفيها ميضات الذي يرتادها الكثير من المسلمين للوضوء.

واصفا نوعية بناؤه بقوله: "إن النظرة لهذا الحوض بحوافه من الحجارة مصقولة تعطينا انطباعا بالنظافة الفائقة".

منتقلا في ذلك لوصف طريقة وضوئهم، وأنه قبل دخولهم المسجد يتوضئون للطهارة وبعد إتمامهم يتوجهون للصلاة، واصفا في هذا الحشد الهائل للمسلمين الذين يرتادون المسجد لأداء فريضة الصلاة واصفا طريقة لباسهم فيقول "... وفي كل ممرات المسجد وأروقته نجد زرافات من الناس يدخلون ويخرجون ولمعظمهم منظر لافت للنظر بعبّاتهم الطويلة"¹.

بالإضافة إلى هذا ينطلقون إلى المسجد الأزهر الشهير معرّفا به إلى غاية أن تحول إلى جامعة في عهد الخليفة العزيز باشا، مشيرا في هذا أنه كان ومزال من أكثر الجامعات شهرة في الشرق.

وهنا يوضح أهمية الأزهر بالنسبة للثقافة الإسلامية والعربية على حد سواء، فقد شيد في مصر رمزا عظيما وجليلا في نشر العلم الفقهي والإسلامي بشكل وسطي بعيدا عن التكلف والتعصب، كما كان له دور كبير في تخريج عدد كبير من العلماء المسلمين من جميع الجنسيات في العالم الإسلامي، مندهشا بشساعة مساحة هذا المسجد وأروقته المتتالية.

مشيرا بعد كل هذا إلى مسجد صغير تابع للأزهر، مدققا في وصفه فيقول: "...وبه أحواض والممرات المحيطة به مقسمة بعوازل خشبية ويوجد في

¹ المرجع السابق: ص 77.

جدرانه شبابيك مغطاة بخشب مشغول يحفظون فيه المخططات وفي الجانب الشرقي للساحة يوجد الرواق الواسع للمسجد وتراه مزينا بثلاث مائة وثمانين عمودا من الرخام العادي والرخام السياقي¹.

مضيفا بعد ذلك بالإشارة إلى المذاهب الأربعة (المذهب الشافعي والمالكي، المذهب الحنفي والحنيلي).

بعدها انتقل إلى وصف الألوان الجذابة الساحرة التي تتميز بها ثلاث مساجد (جامع السلطان قلاوون، وجامع محمد الناصر، وجامع برقوق) مبرزاً في ذلك قيمتها التاريخية والثقافية.

فقد تمثل الفن الشرقي في التماثيل المحفورة في الصخر مع طلائها بالمعادن والرسومات عل جدران المنازل، والتصاميم الهندسية المختلفة فقد كانت ومازالت مثالا حيا لعبقرية الإنسان و دليل على قدرته على الإبداع والاكتشاف.

كما وقف على المعابد والتماثيل والأسوار والمسلات التي لفتت كثرتها وأحجامها أنظار الرحالة.

استطاعت مصر بحضارتها وآثارها أن تؤثر في العالم أجمع قديما حديثا، فقد استطاعت الثقافة الشرقية تشييد حضارة بلغت عنان السماء في وقت لم يوجد في العالم أي حضارة تشبه الرقي والنظام السائد في العالم.

¹ المرجع السابق: ص 80.

خاتمه

أسهمت **Imagologie** الصورولوجيا في رفع الوعي والتقرب من الآخر لتصحيح الكثير من الصور التي تشكلت في المخيلة البشرية عن بعد وهذا عن طريق الرحلات التي كان لها إسهام كبير في معرفة الآخر وكونها من مصادر الرحالة الأوائل إلى الشرق في تجليات وتقديم صورة أوضح بشيء من الموضوعية عن الشرق.

وقد وصلنا إلى جملة من النتائج تتمثل في:

- ❖ أن علم الصورة من المباحث المهمة في الدراسات المقارنة، وهو أكثر المجالات الملائمة لدراسة صورة الآخر، وتكمن أهمية هذه الصورة فيما تقدمه من معطيات وأفكار ثقافية حول الآخر؛
- ❖ استطاع أدب الرحلة أن يوثق ويحفظ الكثير من التراث العربي وينقلها بصورة حية وصادقة؛
- ❖ أعطت الرحلة صورة واقعية لبعض مظاهر الحياة من عادات وتقاليد وقد كانت من المصادر الهامة التي يعود إليها الباحثون في مختلف المجالات والعصور.

وخلصنا في دراستنا لرحلة الأمير رودولف إلى الشرق أنه:

- ❖ قدّم وصفا دقيقا لمراحل سفره، فذكر ما هو مألوف وغير مألوف؛
- ❖ وصّف شامل للعادات والتقاليد والمدن والشوارع والمزارع وكل المظاهر الدينية؛
- ❖ ركز الرحالة على الجانب الفني المعماري للمدينة، ووصف الحياة البرية والطبيعية التي أسرت نفسه؛
- ❖ تزرخ رحلته بالمضامين والقيم الاجتماعية والثقافية والفكرية؛
- ❖ كشف أن مصر من أكثر المدن عراقية في العالم بما حازته من حضارة، وفيها من المواصفات ما يجعلها بحق مدينة من أمهات المدن؛

- ❖ وصف الرحالة للنساء الشرقيات بالجمال؛
 - ❖ خلو الرحلة من العنصرية والنظرة الاستعلائية التي ينظر بها الغرب للعرب؛
 - ❖ تميزت الصورة التي نقلها الأمير رودولف عن الشرق بالموضوعية؛
 - ❖ طغيان الوصف على السرد في الخطاب الرحلي للأمير رودولف؛
 - ❖ تأتي رحلته لإشباع فضول من له رغبة في كشف الحضارة المصرية؛
 - ❖ إثراء القارئ الغربي على وجه الخصوص ومده بمعارف وخبرات عن الإنسان الشرقي؛
 - ❖ كانت نظرة الأمير النمساوي إلى الشرق نظرة ايجابية؛
 - ❖ وقد تميزت الصورة التي نقلها الرحالة بالمسح الجغرافي للمكان فالكاتب وضع بين يدي القارئ خارطة توضح أهم المعالم المكانية، الجغرافية والتاريخية للشرق "مصر".
- في الختام أرجو أن أكون قد وفقت في هذا البحث وأن يتميز هذا الجهد في الإسهام ولو بالقدر القليل للتعرف على صورة الشرق في الأدب الغربي متمنين من الله عز وجل السداد والتوفيق.

فَائِدَةُ الْمَصَامِيرِ

وَالْمُرَادِجِ



القرآن الكريم

المصادر

1. الأمير رودولف: رحلة الأمير رودولف إلى الشرق، تر عبد الرمان عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ج1، د ط، 1990.

المراجع العربية

2. أحمد بن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ط1، 1986.
3. أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، للطباعة والنشر، لبنان، د ط، 1884.
4. الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن - أصوله وتطوره ومناهجه، دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1987.
5. ابن خلدون عبد الرحمان: المقدمة، تح عبد السلام شدادى، بيت الفنون والعلوم، المغرب، ط 1، 2005.
6. بطرس البستاني: دائرة المعارف، مطبعة المعارف، بيروت، مج8، د ط، 1884.
7. بشرى محمد الصالح: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 1، 1994.
8. جابر عصفور: المرايا المتجاورة - دراسة في نقد طه حسين، دار قباء، مصر، د ط، 1998.
9. حسين نصار: أدب الرحلة، دار نوبان للطباعة، مصر، ط1، 1991.
10. حسين محمود حسن: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1983.
11. زبير دراقى: محاضرات في الأدب المقارن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، د ت.
12. زكي محمد حسين: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، مؤسسة هنداوي للتعليم، القاهرة، د ط، د ت.
13. سميرة أنساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دار الهدى، الجزائر، د ط، 2009.
14. سعيد بن سعيد العلوي: أوروبا في مرآة الرحلة - صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، رؤية للنشر، القاهرة، ط1، 2012.
15. سعيد علوش: اشكالية التيارات والتأثيرات في الوطن العربي، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1986.
16. شوقي ضيف: الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1919.
17. صبري حافظ: أفق الخطاب النقدي، دار الشرقيات، القاهرة، ط1، 1996.
18. صلاح الدين الشامي: الرحلة عين الجغرافية المبصرة، دار المعارف، مصر، ط2، 1999.
19. طه ندى: الأدب المقارن، دار النهضة العربية، لبنان، ط1، د ت.
20. علي علي صبح: الصورة الأدبية - تاريخ ونقد، دار العودة، لبنان، ط1، د ت.

21. عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1986.
22. عبد الرزاق المواقى: الرحلة في الأدب العربي، دار الوفاء، القاهرة، ط1، 1995.
23. عبد اللطيف الصعيدي: الرحلة في الإسلام- أنواعها و أدابها، مكتبة الدار، القاهرة، ط1، 1996.
24. عباس عبد الساتر: ديوان النابغة الذبياني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1996.
25. فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية، القاهرة، ط2، 2002.
26. كردي إبراهيم: علي الرحل في بلاد المغرب والأندلس، مكتبة الأندلس، دمشق، د ط، 2013.
27. محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، د ط، 1983.
28. ماجدة حمود: الصورة الأدبية في الحضارة الإسلامية، دار المعارف، دمشق، د ط، د ت.
29. ماجدة حمود: مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دب، د ط، 2000.
30. مصطفى ناصف: الصورة الأدبية، دار الأندلس، بيروت، ط3، 1984.
31. محمد فاروق النبهان: الاستراق، تعريفه مدارسه وآثاره، منشورات المنظمة الإسلامية، الرباط، د ط، 2012.
32. محمد بن إدريس الشافعي: رحلة الشافي، المطبعة السلفية، القاهرة، د ط، د ت.
33. محمد بن عثمان المكناسي: الإكسير في فكاك الأسير، تح محمد الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي، المغرب، د ط، د ت.
34. محمد خضر حسين: الرحلات، تح علي الرضا التونسي، المطبعة التعاونية، دمشق، د ط، د ت.
35. نادر كاظم: تمثيلات الآخر، دراسات فكر، البحرين، د ط، 2004.
36. نوال عبد الرحمان الشوابكة: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع عشر هجري، دار المأمون، عمان، ط1، 2008.

المراجع المترجمة

37. ادوارد سعيد: الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، تر محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006.
38. ايميليا ادواردز: رحلة الألف ميل، تر إبراهيم سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د ط، 1997.
39. دانييل هنري باجو: الأدب العام والمقارن، تر غسان السيد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 1997.

40. كلود بيشوا وأندريه: روسو الأدب المقارن، تر أحمد عبد العزيز، مكتبة لأنجلو، القاهرة، ط3، 2001.

41. رنا قباني: أساطير أوروبا نحو الشرق، تر صبحي حديدي، المؤسسة العربية للدراسات والنش، بيروت، ط1، 1996.

المعاجم

42. اميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في اللغة والأدب، دار الوفاء، بيروت، د ط، 1998.
43. سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985.
44. عبد النور جبور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، لبنان، ط2، 1984.
45. وهبة مجدي وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984.

المجلات الصحف الدوريات

46. إنجيل بطرس: الرحلات في الأدب الانجليزي، مجلة الهلال، العدد 7، 18 جوان 1975.
47. الملك عبد العزيز: أشهر الرحالة المستشرقين، معجزة تاريخية مجلة الرياض، العدد 15799، 26 سبتمبر 2011.
48. الرفاعي عبد الجبار: الإسلام في الوعي الغربي، صحيفة الوسط البحرينية، العدد 2646، 04 ديسمبر 2009.
49. عبد الرحمان البيطار: رحلات الفرنسيين وآثارها في الثقافة، دمشق، 18 نوفمبر 2008.
50. عبد الله الركابي: الرحالة المستشرقون في بلاد العرب، منتدى عنزة الوعلية، 20 جويلية 2008.
51. مجد خصر: مفهوم أدب الرحلة، 25 سبتمبر، 17:20، 31 جويلية 2012.
52. محمد مروان: تعريف أدب الرحلة، منوعات أدبية، 02، 11:40 جوان 2017.
53. معتصم: العرب وجارتهم أوروبا، 11 نوفمبر 2003.

الرسائل الجامعية

54. صغور أحلام: واقع الدراسات المقارنة في المغرب العربي، أطروحة الدكتوراه، جامعة وهران، 2009.
55. رشيد رايس: صورة الجزائر في الكتابات النثرية خلال القرن التاسع عشر، أطروحة الدكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003.
56. علاوي الخامسة: العجائية في أدب الرحلات - رحلة ابن فضلان أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة منوري، قسنطينة، 2005.

57. سمية شرابي: الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري، رسالة ماجستير، جامعة محمد آكلي، تيزي وزو، 2017.

المواقع الإلكترونية

58. مصطفى: دراسة الصورة الأدبية الصورولوجيا ستار تيمز، 02 نوفمبر 2012، 18:17.

59. محمد حاتمي: في الخطاب الرحلي، [www adjobaibed net](http://www.adjobaibed.net)

60. Wagbaick machine، 04 مارس 2016.

محبوب